

الله
رسور
محمد

مَحْمَدُ
الله

هارون يحيى

المحبة من نعم الله تعالى. والإنسان في حياته يرحب ويحرص أن يكون مع من يحب ويثق به ويحسن نحوه بمشاعر طيبة. وقد خلق الباري البشر على فطرة الحب والتآلف، يحب ويصادق ويتألف، ويحب ويصادق ويؤلف. ومصدر الحب ومنبعه في قلب المؤمن أصله من محبة الله تعالى بعمق وقوه ووشائجه متينة. وحال المؤمنين هي التعلق بالله بشدة وبذل الجهد والجهد ليل محبته والفوز برضاه. ومن يمتلك قلبه بمحبة الله يشعر بالحب والاعطف على جميع مخلوقاته. يشفق عليهم وييسط لهم جناح الرحمة ويرجو لهم كل خير وجمال.

الذين لا يعرفون الله حق معرفته ولا يتحلون بأخلاق القرآن وآدابه محرومون من المحبة الصادقة والاخوة الأصلية. يعيشون حياتهم في ضنك وضيق وعذاب رغم مظاهرهم البراقة وما هم عليه من أبهة ومخافة. ولأنهم لم ينالوا حطا من السعادة والاطمئنان، تصبح حياتهم فارغة من دفء الحب والحنان ومحرومون من ظلال المحبة الوارفة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة. لا يعرفون معنى حب غيرهم، ولا يحبهم أحد غير أنفسهم. وما يشعرون به من حب زائف قد اخترط به الشرك والكفر بنعم الله، لا يأتي لهم منه إلا المؤس والألم والتشاؤم.

إن الهدف من هذا الكتاب تذكير الناس وتعريفهم بأهمية الحب الأصيل والمحبة التبليلة تجاه رب العالمين صاحب الرحمة الكبرى، وتجاه المؤمنين به وعموم خلقه، وما يمتاز به غير المؤمنين والمنكرين لفضائل الله من بعد شاسع عن مفاهيم المحبة، وما هم عليه من بؤس وعذاب وبلاء.

حول الكاتب



ولد عدنان أوقatar عام ١٩٥٦، وهو يستعمل الاسم المستعار هارون يحيى. ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي كتب عدداً كبيراً من المؤلفات في مواضيع مختلفة، إيمانية وعلمية وسياسية، إلا جانب ذلك يوجد للكاتب مؤلفات في غاية الأهمية تكشف زيف أتباع نظرية التطور، وتفضح ادعاءاتهم، وتفضح الصلات الخفية، بين الداروينية والأيديولوجيات الدموية.

وهدف المؤلف الرئيسي من وراء أعماله هو إيصال نور القرآن الكريم إلى شتى بقاع العالم، ودفع الناس بذلك إلى التفكير والتفكير في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله تعالى ووحدانيته، واليوم الآخر، وكذلك كشف الأسس المتهانة لنظم المحاذين وسلوكياتهم المنحرفة. وإلى حدّ الآن ترجم للكاتب نحو ٥٥٠ مؤلفاً إلى لغة مختلفة، وهي تحضى باهتمام بالغ من قبل شريحة واسعة من القراء. وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى خلال القرن الواحد والعشرين، وسيلة للبلوغ بالإنسان في شتى أنحاء العالم إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي جاء التعريف بها في القرآن الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ
السَّمَوَاتُ
عَمَدُ



مَحْبَةُ اللهِ

هارون پھی





وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن الذين يساهمون في نشر هذه الكتب ويبحثون الناس على قراءتها لكون وسيلة لهديتهم هم في الحقيقة يقدمون خدمة للدين لا تقدر بشمن.

وعلى هذا الأساس، فإن العمل على نشر الكتب التي ثبت بالتجربة أنها تشوّش الأذهان وتُدخل الببلة على الأفكار وتزيد من الشكوك والتردد ولا تملك تأثيراً قوياً وحاسماً في طرد الشبهات من القلوب، يُعتبر مضيعة للجهد والوقت. ومن الواضح أن هذه المؤلفات لم تكن لتشرك كل هذا التأثير لو كانت ترتكز على بيان القوة الأدبية للكتاب أكثر من تركيزها على الهدف السامي المتمثل في هداية الناس. ومن لديه أدنى شك في ذلك فيمكّنه أن يتحقق من أن الغاية القصوى هي دحض الإلحاد ونشر أخلاق القرآن من خلال تأثير هذا الجهد وإخلاصه ونجاحه.

يتعين إدراك حقيقة مهمة، وهي أن الضلم والفساد السائدين اليوم في أنحاء الأرض وما يتعرض له المسلمون من أذى سببه تحكم الفكر الإلحادي في شؤون العالم. والطريق الذي يضمن الخلاص من هذا كله هو إلحاق الهزيمة بالفكرة الإلحادية وبيان حفاظ الإيمان و إجلاء الأخلاق القرآنية بحيث يُصبح الناس قادرين على التمسك بها. وبالنظر إلى حالة العالم وما يُراد له من مزيد جرّه إلى الفساد والشّرور والدمار فإنه من الضروري المُسارعة قدر المستطاع إلى القيام بما هو ضروري، وإلا فقد يُقضى الأمر ولات حين مناص. وخلال القرن الواحد والعشرين، وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى -من خلال نهوضها بهذه المهمة- الوسيلة للوصول بالناس إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي أوضحتها لنا القرآن الكريم.

حول المؤلف

يتكون الاسم المستعار للكاتب من "هارون" و "يحيى" في ذكرى موافقة للتبين اللذين جادلا ضد الكفر والإلحاد، بينما يظهر الخاتم النبوى على الغلاف رمزاً لارتباط المعاني التي تحتويها هذه الكتب بمضمون هذا الخاتم. ويشير هذا الخاتم النبوى إلى أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبىين. وقد اتخذ الكاتب لنفسه القرآن الكريم والستة النبوية دليلاً ومرشداً، وفي جميع المؤلفات أخذ العهد على نفسه بنسف جميع الأسس التي تقوم عليها النظم الإلحادية وإبطال كل المزاعم التي تقوم عليها الحركات المناهضة للدين. ويعتبر هذا الخاتم الذى مهـر به كتبه بمثابة إعلان عن أهدافه هذه.

تدور جميع كتب المؤلف حول هدف رئيسي هو تبليغ نور القرآن ورسالته لجميع الناس، وحثهم على الإيمان بوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر، وعرض تهافت النظم الإلحادية وفضحها على الملا.

تحضى كتب هارون يحيى بمحبته واهتمام كبار في شتى أنحاء العالم؛ من الهند إلى أمريكا، ومن إنكلترا إلى أندونيسيا، ومن بولونيا إلى البوسنة، ومن إسبانيا إلى البرازيل، ومن ماليزيا إلى إيطاليا، ومن فرنسا إلى بلغاريا وروسيا.

ترجمت كتب المؤلف إلى العديد من اللغات الأجنبية، ومن بين تلك اللغات: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإنسانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإيغورية والأندونيسية والملاوية والبلغارية والصربيّة والصينية والسوادلية (لغة مستعملة في تزانيا) ولغة الهوسه (لغة منتشرة في إفريقيا)، ولغة الدبولي (لغة مستخدمة في موريش) والدانماركية والمجرية وغيرها من اللغات. و هناك إقبال كبير على قراءة هذه الكتب بهذه اللغات.

لقد أثبتت هذه المؤلفات جدارتها، ووُجـدت تقديرـ كـبـيرـا في كـافـة أـنـحـاء الـعـالـمـ. وـقـدـ كـاتـبـ سـبـبـاـ فيـ هـدـاـيـةـ كـثـيرـ منـ النـاسـ إـلـىـ طـرـيقـ الإـيمـانـ وـسـاـهـمـتـ مـنـ جـانـبـ آخرـ فيـ تـقـوـيـةـ إـيمـانـ كـثـيرـ منـ المؤـمـنـينـ. وـكـلـ مـنـ يـقـرـأـ هـذـهـ الـكـتـبـ وـيـتـأـمـلـ فـيـهـ يـلـاحـظـ بـوـضـحـ الـحـكـمـ الـبـالـغـةـ الـتـيـ تـكـنـ فـيـهـ وـالـسـهـوـلـةـ الـمـوـجـوـدـةـ بـيـنـ ثـانـيـاـ سـطـوـرـهـ وـالـصـدـقـ الـذـيـ يـمـيـزـ أـسـلـوـبـهـ وـالـعـقـمـ فـيـ تـاـوـلـ الـقـضـيـاـ الـعـلـمـيـةـ. وـمـاـ يـمـيـزـ هـذـهـ الـمـوـلـفـاتـ أـيـضـاـ سـرـعـةـ تـأـيـرـهـاـ وـضـمـانـ تـنـاجـهـاـ وـعـدـمـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ نـقـضـ مـاـ فـيـهـ وـدـحـضـهـ. وـكـلـ مـنـ يـقـرـأـ هـذـهـ الـكـتـبـ وـيـتـأـمـلـ فـيـهـ يـعـقـمـ لـنـ يـكـونـ يـاـمـكـاـنـهـ بـعـدـ ذـلـكـ الـدـفـاعـ عـنـ الـفـلـسـفـاتـ الـمـادـيـةـ وـالـأـرـاءـ الـإـلـهـادـيـةـ وـالـأـفـكـارـ الـمـتـحـرـفـةـ الـأـخـرىـ.

وـإـذـ حـدـثـ وـأـنـ نـافـحـ عـنـ تـلـكـ الـنـظـريـاتـ بـعـدـ مـطـالـعـةـ هـذـهـ الـمـوـلـفـاتـ فـلـ يـكـونـ ذـلـكـ سـوـىـ عـنـ عـنـادـ عـاطـفـيـ لأنـ السـنـدـ الـعـلـمـيـ قدـ تـمـ دـحـضـهـ وـإـبطـالـهـ. وـلـاـ شـكـ أـنـ هـذـهـ الـخـصـائـصـ نـابـعـةـ مـنـ قـوـةـ حـكـمـةـ الـقـرـآنـ وـحـجـجـةـ الـدـامـغـةـ. وـالـكـاتـبـ لاـ يـسـعـيـ مـنـ وـرـاءـ عـمـلـهـ هـذـاـ إـلـىـ نـيلـ الـمـدـيـحـ وـالـشـاءـ إـنـمـاـ هـذـهـ وـغـايـتـهـ هـدـاـيـةـ النـاسـ وـالـسـيـرـ بـهـمـ فـيـ طـرـيقـ الـإـيمـانـ، كـمـاـ أـنـ لـيـسـ هـمـ تـحـصـيلـ أـيـ رـيحـ أـوـ مـكـسـبـ مـادـيـ.

إلى القراء الكرام

إن المواضيع الإيمانية الموجودة في جميع كتب المؤلف مشروحة وموضحة في ضوء الآيات القرآنية. وهذه الكتب تدعو الناس جمِيعاً إلى فهم هذه الآيات والعيش وفقاً لتعاليمها. لقد تم شرح جميع المواضيع المتعلقة بآيات الله بحيث لا تبقى هناك أي شبهة أو تردد في ذهن القارئ. إن الأسلوب السلس والسهل والرصين المنبعث من القلب هو الذي يُسرُّ فهم هذه الكتب من قبل الجميع صغاراً وكباراً، ومن كل فنات المجتمع، بسهولة ودون أي صعوبة، وهو الذي جعل هذه الكتب كتبًا لا تستطيع أن تتركها قبل إتمام قراءتها. وحتى الذين اتخذوا موقفاً معارضًا للدين يتأثرون بالحقائق المذكورة في هذه الكتب، ولا يستطيعون حضن صحة محتوياتها.

وكما يستطيع القراء قراءة هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف على انفراد، فهم يستطيعون قراءتها بشكل جماعي، أو مناقشتها فيما بينهم والسامر حولها. إن قراءة هذه الكتب بشكل جماعي ونقل كل فرد رأيه وخبرته إلى الآخرين أمر مفيد جداً.

علاوة على هذا، فإن المساعدة في تعريف هذه الكتب - التي لم تُرَفَّلْ إلا لوجه الله تعالى ولم يرضاه - ونشرها بين الناس تُعد خدمة إيمانية كبيرة، لأن الأدلة والبراهين التي يوردها المؤلف في هذه الكتب قوية جداً ومقعنة، لذا كان على كل من يريد خدمة هذا الدين تشويق الآخرين لقراءتها والاستفادة منها.

إننا نأمل أن يتسع وقت القارئ للاطلاع على استعراض الكتب الأخرى، الذي نقدمه في نهاية هذا الكتاب، ليكون على علم بوجود منابع ثرية ومصادر غنية من الكتب في المواضيع الإيمانية والسياسية، التي تعد قراءتها مفيدة وممتعة للغاية.

لا ترى في هذه الكتب ما تراه في بعض الكتب الأخرى من رؤى شخصية للمؤلف، ولا ترى شروحاً وإيضاحات مستندة إلى مصادر مشبوهة، ولا أي نقص أو قصور في أسلوب الأدب والتوقير الواجب اتخاذه تجاه المفاهيم والمواضيع المقدسة، ولا ما يُجرِّ القارئ إلى الحيرة والتردد أو إلى اليأس والقنوط.

GLOBAL
PUBLISHING

Talatpasa Mah. Emirgazi Caddesi

Ibrahim Elmas Ismerkezi

A Blok Kat 4 Okmeydani - Istanbul

Tel: (+90 212) 222 00 88

محتويات الكتاب

المدخل	٨
محبة الله	١٦
محبة الله وخشية الله متلازمان	٦٢
من أحب الله، أحب الرسل والأنبياء والمؤمنين	٧٠
أقوال النبي في الحث على المحبة	٨٢
الحب لنيل رضا الله	٨٦
المحبة في الأخلاق القرآنية	١١٤
الخاتمة	١٤٢
أهياب الداروينية	١٤٧

المحبة من نعم الله تعالى العظمى. إن الإنسان يرحب ويحرص في حياته أن يكون مع من يحب، ويثق به ويحس نحوه بمشاعر طيبة. ولاشك أن الظروف والشروط التي تبرز ونوضح نعم الله الكثيرة هي تلك التي تسود فيها المحبة الصادقة، والصدقة والاخوة المخلصه والرفقة الحميمة. والإنسان يرحب أن يشاركه من يحب في التمتع بجمال منظر طبيعي مثلا، كما ويتمنى أن يكون بقربه أعز الناس وأقربهم إلى قلبه على مائدة طعام شهي أو في بيت جميل. فبدون ذلك يشعر بأن كل شيء فقد بريقه وطعمه الحقيقي. ذلك لأن الله خلق الإنسان وفطره على أن يتبادل المحبة مع غيره ويجد في الرفقه والصدقة ما يشفي غليله ويرضي رغبات نفسه. غير إن المحبة الحقيقية لدى المؤمن، تتجلى وتتمحور في مرافقته ومصاحبه من يتتصف بالأخلاق القرآنية. ففي أمثال هؤلاء يجد من نعم الله أطيبها وأركاها.

لهذا السبب فإن الجنة التي وعدها الله عباده المؤمنين هي المكان الذي يظهر فيه الحب الحقيقي الأصيل والرفقة الصادقة بأروع وأبهى صورها وأشكالها. فعندما يذكر الجنة وأحوالها في سور القرآن الكريم، تبرز أمامنا معاني الحب والود والفرح والحبور، وكل ما هو طيب وجميل من أقوال وأفعال. كما ونجد أن كل ما يمنع المحبة أو يضعف الزماله والأخوة قد أبعدت وأهملت تماما عند ذكر نعيم الجنة. وأكدت الآية أن أهل الجنة نزع من قلوبهم الغل والبغضاء

﴿وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ﴾



المدخل

ربهم بمكافأة سخية، النعيم المقيم في جنانه حيث الروح والريحان. إن منبع الحب في قلب المؤمن ومصدره من حب الله تعالى. وهو دائم السعي لنيل رضا وكسب محبته. وهذه الرغبة كامنة في سويدة نفسه.

لقد خلق الباري الناس جميماً من العدم، وبفضل منه اكتسب الحياة وبعثت فيه الروح، وتمتع بنعم كثيرة من لذائذ الطعام وأطيايب الفواكه وبدائع مخلوقاته من الأنعام والشجر، وكل هذه المخلوقات البدعة، من منظر رائع ومشهد مثير ومهيب، من الشمس والقمر والنجوم، والماء والهواء والصحة والعافية، تجعل الحياة

رغيدة بدون نقص أو عيب. وهذه الأرض التي تمضي مسرعة في مدارها خلال الفضاء الكوني الفسيخ اللامتناهي، وبكل دقة وأمان هي من مظاهر رحمته التي لا حد لها ولا عد. يدرك المؤمن حين النظر إلى كل هذه النعم مدى جلال الخالق وعظمته، هذا الحاكم المدبر لكل ما في الكون

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَأَكُعُونَ

(سورة المائدة / ٥٥)

غُلٌّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لِقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُوَّدُوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رُثُّمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿سورة الأعراف، الآية ٤٣﴾

فلا نجد مفردات أو كلمات من مفاهيم مثل الحقد والبغضاء والغضب والحسد والتناحر والتنافر والخصام، إذ لا مكان لها ولا اعتبار عند أهل الجنة.

من خصائص ومميزات أهل الجنة من المؤمنين، أنهم كانوا في حياتهم الدنيا على حب عظيم لكافة رسل وأنباء الله، وجميع المؤمنين ومن الصادقين والصالحين والذين جاهدوا في الله من عباده المتقين، والعبد المؤمن يجاهد ويحاول كسب محبة وصداقة الصالحين والمتقين من المؤمنين لكي ينال رضا الله تعالى. وهو يشعر بذلك وحلاوة الإيمان في معاشرتهم ورفاقهم، بالإضافة إلى ارتباطه بأواصر الوفاء مع جميع المسلمين. ولقاء هذه المشاعر الخالصة من الحب والمودة، يدهم

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ

(سورة المائدة / ٥٦)

مخلوقاته كذلك. يعطف ويرحم ويشفق ويمنع السوء ويسعى إلى الخير. ولعل من أكثر خلق الله فضلاً وخيراً، الأنبياء والمرسلون الذين قادوا البشرية إلى دروب المحبة والتآلف.

و يبشر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين يعملون صالحتاً الأعمال بقوله:

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عَبَادُهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (سورة الشورى / ٢٣)

الذين لم يعرفوا ربهم حق معرفته ولم يدركونه أو يصلوا إلى الأخلاق القرآنية، حرموا من كل معانٍ المحبة والألفة والرفقة الحقيقة.

بكل ما في الحكمة من معاني الروعة والإبداع والإعجاز. هذا التفكير والتدبر يزيد من إيمان المؤمن ويفربه إلى ربه أكثر فأكثر حتى يشعر حلاوة الإيمان وطعم محبة الحياة، ومن يبلغ هذه المرتبة العالية يكون أرض الناس على الالتزام بحدود الله وسنته ويطيع أوامره بكل رضا وكمال، ويخشأه حق خشيته ويؤدي واجب العبد المخلوق تجاه معبوده وخالقه، طمعاً وطمحاً في كسب المغفرة والرحمة، ثم الفوز بالجنة والنعيم.

إن مثل هذا المؤمن وبهذه الصفات والشمائل الإيمانية الصادقة، لا ينفك يسعى ويحاجد إلى عمل المزيد من الصالحات حباً في خالقه وشوقاً إلى رحمته، وبذلك فهو يضيف إلى هذه الحياة مزيداً من الجمال والخير، ويكون بحق الإنسان الفاضل على الأرض. ومن يكون هدفه وغايته بلوغ محبة الله لابد له وأن يحب

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿سورة الحاقة/ ٣٣-٣٥﴾

إن هدف كتابنا هذا، هو التذكير والتأكيد على أهمية وعظم شأن الحب لله وفي الله، صاحب الإحساس اللامتناهي والفضل العظيم، ومحبة مخلوقاته، والمؤمنين على وجه الخصوص، وإظهار وإبراز ما هو عليه غير المؤمن والنادر لأفضل الله المحرر من مظاهر المحبة والسعادة وما هو فيه من بلاء وضنك وعذاب. إلى جانب ترغيب المؤمنين وتشويقهم أن يتتجنبوا الواقع في مزالق الكافرين، والتقرب أكثر من ربهم وحالقهم، ومن عباده الصادقين المؤمنين المتقيين والارتباط بقوة بعروة الله الوثقى وبكل شوق ورغبة، وفاء واعترافا بالجميل. حينئذ يشعرون بحلوة نعيم جنات الله وهم لا يزالون في هذه الحياة الدنيا.

وبذلك أصبحت حياتهم ومعيشتهم كلها عذاباً ونخساً وكدرًا. ومن يكن بعيداً عن الإيمان وفارغ قلبه من محبة الله، يعيش حياة الوحدة الكئيبة ليس فيها لحظة سعادة أو طعم الوجود وحلوته. هذا الحرمان من معانى الحب هو الجزاء العادل والقصاص الحق من الله تعالى لأولئك الذين أنكروا النعمة والفضل والكرم الرباني. وهؤلاء كما لا يعرفون للحب معنى فلا يحبهم أحد ولا يحبون أحد. يتسلون بها من أشكال الشرك بالله لا تأتي لهم إلا التشاوم والضيق والتعاسة.

و يصف الله في القرآن الحرمان من المحبة والصدقة والتاليف بأنها من خصائص جهنم وأهلها:

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحْضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾



إن الإنسان يرحب عادة ويحاول رد جميل من يصنع إليه معرفة ولو كان بسيطا، ويظهر تلك الرغبة بالقول والفعل. فإذا ضيفه وأكرمه أحد فإنه يظهر امتنانه وشكره لقاء ذلك، لاسيما إذا كان ضيفه لطيف المعاشرة لين الجانب يلبي رغبات ضيفه دون سؤال منه أو طلب. أما هذا المريض الذي يجد الشفاء من مرضه على يد طبيه، فإنه لا يعرف كيف يعبر له عن شكره وغبطته. وهذا عابر السبيل الذي ينchez صاحبه من أن تدهسه سيارة مسرعة، سوف يظل يتذكر ويدرك فضله عليه بإنقاذه له من موت أكيد، ويحاول أن يرد له الجميل بشتى الوسائل.

و حينما يقوم أحد بمعاونة ومساعدة مريض أو من هو في ضيق وحاجة فإنه سوف يسمع كل عبارات الثناء والشكر والمديح. ويلقى من أحسن إليه كل الاحترام والتقدير والتجليل. ولا يتوقع أو يتنتظر منه بالمقابل أي سوء أو خيانة أو غدر. فالإنسان عادة يشعر بالحب وال AFFECTION و التقرب إلى من أسدى إليه جميلاً أو معرفة، ويتجنب أن يظهر منه نحوه أي خطأ أو إهمال أو زلل. ينسى بعض الناس أو يغفلون عن حقيقة بارزة واصحة صريحة، ذلك أن الله هو صاحب الكرم



مَحْبَّةُ اللَّهِ





والفضل والنعم على خلقه. فهو من أنعم على عباده بالحياة، ورزق عباده من الطيبات ومتعمم بجمال الطبيعة وروعة الخلق، وهو الذي يشفىهم إذا مرضوا جاعلا من العلاج والأدوية سببا لتحقيق أوجاعهم وألامهم، وهو الذي يحيي كل صيام بعد أن يميتهم حين ينامون، وهو خالق ومبعد كل حي وجماد. ولقاء كل هذه النعم لزام على العبد أن يظهر امتنانه وشكره هو حمده لمن وهب له كل ذلك، اعترافا منه بالجميل، ووفاء بالفضل. وأن لا ينسى هذا الإنسان أن الله هو من يسخر من عباده من يقوم بمعاونة غيره من الناس، وأن الفضل أولا وأخيرا له سبحانه، فهو الامر والموجه لعمل الخير. يقول الله في أي كريمة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ ﴾

(سورة التوبه / ١١٦)

و في دعاء نبي الله و خليله إبراهيم(ع) يتجلى ما يتوجب على المخلوق أن يخاطب به خالقه امتنانا لرحمته.

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيُسْقِيَنِي وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِيَنِي وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَّيْتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

(سورة الشعرااء / ٧٨ - ٨٢)

بهذه السهولة. والله تعالى خلق في أرجاء هذه المعمورة أنواع النبات والزرع والفواكه والحبوب، متنوعة أشكالها ومختلفة ألوانها ومذاقها. كان من الممكن أن يخلق الله نوعا واحدا فقط خاليا من الطعم واللذة أو المظهر الجميل، وأن نضطر إلى الاكتفاء بهذا النوع الوحيد لكي نعيش. ولكن الله صاحب الفضل والكرم خلق لنا أنواع الأثمار والنباتات مختلفة ألوانها وأشكالها، شهية المنظر وحلوة الطعم وجميلة المنظر والمذاق. فكما أن الإنسان مجبر على أن يتغذى لكي يديم حياته، فإنه يفعل ذلك أيضا مع التمتع بلذة ما يأكله.

وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالرُّبَّيْوَنَ وَالرُّمَّانَ مُشْكِنٌ لِّهَا
وَغَيْرٌ مُتَشَابِهٌ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرَهُ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهُ
إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَذِيْاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
(سورة الأنعام / 99)

الله الذي وهب الإنسان كل مظاهر الجمال

إن الله تعالى صور الإنسان وخلقه من العدم على أجمل وأكمل شكل. وهيأ لهذه الحياة على الأرض على أحسن وجه. فمثلاً، فان الناس في كل ركن من الأرض يتنفسون الهواء بيسر وسهولة. والله جعل الهواء المحيط بفضاء بالأرض خليطاً متناسباً ومتعادلاً وموزوناً بدقة وكمال ليكون مهيناً لعيش الإنسان. فكانا يتصور ما يمكن أن يعانيه الإنسان إذا ما حاصر في مكان ضيق بدون هواء كاف. كان من الممكن أن نخلق نحن أيضاً بشكل لا نستطيع فيه أو نقدر على التنفس بيسر وسلامة. ولكن فضل الله علينا جعلنا نشعر براحة وانشراح من تنفس الهواء

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاً فَأَخْرَجَنَا بِهِ
كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَنَا مِنْهُ حَضِيرًا نُخْرُجُ مِنْهُ
حَتَّىٰ مُتَّرَاكِيًّا وَمِنَ النَّحْلِ مِنْ طَلْعَهَا قَوَانِ دَانِيَةٌ

و في مخلوقات الله من الحيوانات العديد والكثير من مظاهر الجمال. فكما أن حيوانات مثل الفرس والجمال والكلاب تساعد الإنسان وتقضى له بعض حاجاته وتقوم ببعض أعماله، فإن حيوانات أليفة وديعة أخرى مثل، القطط والطيور تتمتع بجمال المنظر يشعر الإنسان المقتني لها بالمسرة عند النظر إليها. ففي طير صغير ذي ألوان غاية في الجمال والتدرج والتنوع من الأصفر إلى الأحمر إلى الأبيض وما تخرج من أفواهها الصغيرة من الألحان والأصوات الجميلة وما في ريشها من أشكال جميلة وعجيبة، تجد بداع خلق الباري مما يبعث الراحة والانشراح في نفس الإنسان ويشرح صدره ويزيل عنه الهم والكدر.



وَمِنْ الْأَنْعَامَ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا
رَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ وَلَا تَنْهَمُوا عَنْ حُطْمَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ حَلَوْنَ مُسْبِّقَنَ

(سورة الأنعام / ١٤٢)



و من نعم الله تعالى وأفضاله الكثيرة التي سخرت لنا ونصل إليها بكل سهولة ودون عناء أو مشقة هذا الهواء الذي تنفسه والأمطار التي تنزل من المزن تروي سطح الأرض وتذهب إلى أعماقها. والخلائق العديدة من الحيوانات والنباتات وحتى الجماد وما يحويه باطن الأرض من الخزائن والمعادن، إلى الماء الرقراق مصدر الحياة، وغيرها كثير. ولكي يبقى الإنسان حيا ويستمر على البقاء ويديم العيش على الأرض. فأن أمورا

وَنَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجَا
وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْمُعْصَرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا لِّتُخْرُجَ بِهِ حَبَّا
وَنَبَاتًا وَجَنَّاتُ الْفَافَا

(سورة النبأ / ١٢ - ١٦)

أجنبتها وألوانها والطاووس لا يدرك ما يمتلكه من الريش ذات الألوان البهيجه والتوزيع البديع لتصميم جسمه وأنها سبب في إعجاب الناس بروعة منظره وحسن ريشه ومظهره. ولكنه غير مدرك مدى روعة هذا الريش العجيب وتصميم الذنب الغريب وتوزيع الأشكال والألوان البراقة عليه مما يجعله من أجمل المخلوقات في الطبيعة. إن قابلية الإنسان لإدراك هذا الجمال تدفعه إلى الوصول إلى حقيقة عظمة الخالق المبدع وقدرته البالغة، وهذا بحد ذاته إحدى النعم التي تستوجب الشكر عليها.

إن الله تعالى يعرض على الناس من خلال هذه المخلوقات البدعة الصنع أحد أجمل نعمه وأفضاله.

خطيرة ومثيرة ودقيقة غاية الدقة تحصل في الأرض والكون للمحافظة على هذه النسب المقبولة والمقدرة بكل دقة من عناصر الحياة.

إن المخلوقات والكائنات الحية - عدا الإنسان - لا تدرك ولا تشعر بالميزات والخصائص التي تملكتها وتكون فيها. فالأرنب مثلاً يعيش حياته كلها دون أن يدرك مدى لطفه وجماله وحب الناس له. والفراشة كذلك غير مدركة جمال وتناسق تصميم



وعلى الإنسان أن يدرك عظمة الخالق في كل هذه الألوان والأشكال والتصاميم ذات التناقض والتناغم والتناسب، وأن يتوجه إلى تقديم واجب الشكر والعرفان عليها. إن نعم الله تعالى وأفضاله على هذه الأرض لا تعد ولا تحصى فالزهرة مثلاً تمتلك آيات الإعجاز الكبير في جمال منظرها وروعة تركيبها أوراقها موزعة بدقة وتناسق كبير. وملمس هذه الأوراق ورقتها تصاهي أرقى أنواع الأقمشة الغالية من الديباج والحرير، وألوانها من أبدع ما يتوفّر في الطبيعة. ورغم خروجها وانباتها من هذه التربة السوداء، لا تجد عليها أي نقطة من القذارة والقذى، أو غشاوة في ألوانها البراقة الرائعة. أما رائحتها فأن أرقى ما توصلت إلى إنتاجه التقنية الحديثة لا تستطيع أن تأتي بمثلها أو أن تجاريها أو حتى أن تقلّلها في خصائصها الفريدة. فالروائح والعطور الصناعية تفقد مزاياها بمرور بعض الوقت، ولكن الورود تحافظ على رائحتها العطرة، وتقدم للإنسان أروع ما يمكن أن يتمتع به من الأحاسيس والشعور. ومع كل هذه المزايا فإن الوردة لا تدرك أو تشعر أي منها، كما لا يمكن إدراكها أو الشعور بها من قبل باقي المخلوقات في عالم الحيوان والنبات. الإنسان وحده أعطى هذه النعمة الكبيرة، نعمة التمتع بجمال الخلق، هذا الجمال الذي ينتشر على سطح الأرض فبالإضافة إلى كونه نعمة جليلة من رب الرحيم فإنه انعكاس لجلاله وبدائعه. ولهذا فإن الإنسان الذي يملك ضميرًا حيًا وفكرا ثابقاً يدرك حتماً أن الله هو صاحب ومالك هذه الأشياء الرائعة، ويقترب بشوق ولهفة إلى ربه ملتمساً محبته ورضاه، مقدراً له روعة وعظمة الدلائل

وَالْحَمْضُ فِي الْعَصْفِ وَالرِّيحَانُ فِي أَيَّامِ الْأَئِمَّةِ
رَبِّكُمَا نَحْنُ كَانِيْنَا
(سورة الرَّحْمَن / ١٢-١٣)

من عقل وقدرة على التفكير والتأمل يدفعه إلى إدراك ومعرفة الله تعالى. ويستوجب عليه كذلك أن يسخر هذه القدرة لزيادة تقربه من الله وتمتين تعلقه ومحبته به سبحانه، فحين يحكم الإنسان ضميره فسوف يدرك ما يدور حوله في الكون والطبيعة من التناسق والتناسب الموزون والدقة والبراعة الفائقة في الخلق. وحين يعمق في التفكير في آلاء الله وتفاصيل خلقه سيتوصل أخيرا إلى إدراك وتقدير جلال الخالق، ويزداد حبه وتعلقه به مما يطغى على كيانه وينعكس في تصرفاته.

وفي القرآن الكريم: آيات عديدة تذكر الإنسان بنعم الله وفضله على الإنسان خاصة، وتعدد بعضا منها وتكلفه بمهمة وواجب التفكير والتحقق

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ
خَالقِ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ
خَالقِ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّمَا تُؤْفَكُونَ

(سورة فاطر / ٣)

والآيات الدالة على بديع صنعه وجلال خلقه.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ حَلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاطِرًا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعِلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل / ١٤)

و لعلنا لا ندرك أو نستطيع أن نحصي نعم الله الكثيرة. ومثال واحد فقط مما جئنا بها من أمثلة، كاف لإدراك ما وهب الله للعباد من الجود والكرم والفضل الكبير. إن ما يتمتع به الإنسان

وَمَا يَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ
فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ

(سورة النحل / ٥٣)

لتعزيز إدراكه. ومن هذه الآيات:

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْءُ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْيَحُونَ وَحِينَ تَسْرُحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلُ وَالْبَيْغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتُرْكِبُوهَا وَرَزِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسَبِّمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْتَوْنَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَرَ لَكُمُ الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تُلْبِسُونَهَا وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تُلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَتَبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُّلًا لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ﴾

(سورة النحل / ٤٥-٤)

إن مجرد التفكير في هذه الآيات وما فيها من ذكر لبعض أفضال الله علينا، يدفع الإنسان إلى إدراك مدى حب الله لعباده وإحسانه إليهم ورحمته بهم. هذا الرب الرحيم الذي وهبنا الحياة وأدام لنا وهيأ الوسائل والآساليب للعيش على الأرض بتسخيرها لنا، وخلق لنا كل ما من شأنه إدخال البهجة والسرور والاطمئنان إلى أعماق نفوسنا وحواسنا. ألا يدفعنا كل هذا إلى التعلق بقوه إلى بحب هذا الخالق الكريم وإعلان طاعتنا له

ما ذكره الله في هذه الآيات هو بعض من
النعم التي أنعمها الله تعالى على البشر في
حياتهم الدنيا وفي نسق هذه الآيات يقول
تعالى أيها وَمَا ذَرَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يَكْرُونَ
(سورة العنكبوت / ١٣)

فَالْقُّ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
(سورة الأنعام / ٩٦)

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لَتَهَدُوا بِهَا فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ (سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٩٧)

جداً، يمنعه عن النوم والراحة وحتى من الأكل والحركة، ويقتل كل فعالياته وأفعاله. في حين أن الله تعالى شأنه أعطى أوامره إلى القلب أن يعمل بهذا النظام الصارم منذ أول لحظة من الحياة وإلى أن يدركه الموت.

وهكذا نجد أن القلب يستمر ويعمل وينبض

الحياة بتوجيهه وسيطرة من الله تعالى

وطوال عمر الإنسان.

إذا ليس للإنسان السيطرة التامة

حتى على جسمه الذي يدعى املاكه

له. ذلك هو الخالق الذي يتحكم في

جميع أموره ابتداء من أبسط خلية في

جسمه. كما وليس للإنسان أي

قدر من التدخل أو السيطرة

في أمور كثيرة أخرى، مثل

تدفق الدم، وضخ القلب

لكميات محدودة

ومعلومة منه في كل



وإظهار الثناء والحمد له، والشكر على كرمه في كل آن وحين؟.

الله خالق الإنسان من العدم وواهب الحياة له

إن الإنسان حينما يفكر في وجوده من العدم، وبث الروح فيه وأطوار حياته منذ استقراره في رحم أمه ومن ثم خروجه إلى معرك هذه الحياة، ورعايته وحفظه لحين اعتماده على نفسه، يجد ويلمس آثار رحمة الله عليه، دلائل شفنته وعطفه. في سورة مريم يذكر الله عباده هذا الإعجاز ويطلب منهم أن يتذكروا ملياً فيه:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾

(سورة مريم / ٦٧)

ووضع الخالق العظيم الإنسان وهو في رحم أمه في قرار مكين أمين، حافظاً إياه من كل احتمالات أن يأتيه أذى أو يصيبه ضرر، فهو في حفظه وصونه. وبعدما يخرج إلى الدنيا يجد أمامه حياة عامرة وأرضاً وسماءً وطبيعة، وظروفاً قد هيئت وأعدت له مسبقاً ومنذ مليارات من السنين. كل شيء جاهز له وبانتظاره، من الهواء الذي سوف يستنشقه وحليب أمه الذي سوف يغذيه ويربيه على أكمل وأفضل وجه.

وهذا جسم الإنسان مصان ومحافظ عليه بصورة عجيبة لـما أودعها الله فيه من وسائل الوقاية والمناعة الذاتية. إذا أخذنا القلب كمثال، نجد أنه في نبع دائم لعنصر الحياة إلى الجسم، ويستمر بعمله المنظم المرتب دون أن يتدخل الإنسان في توجيهه أو التحكم به، ودون أن يبذل أدنى جهد أو طاقة إرادية لتحقيقه. لتصور ماذا يحدث لو كان واجب القلب منوطاً توجيهه وعمله بالإنسان. سوف يجعل ذلك الإنسان في دوامة من التفكير واتخاذ القرار والعمل المستمر مما يضع على كاهله عبئاً ثقيلاً

مرة، وعملية تخثر الدم ووقف نزيفه، وتنقيته وجود عناصر المناعة فيه وعملها. ناهيك عن منظومة الأعصاب والأفعال اللا إرادية. إن الإنسان محتاج وفقير إلى ربه في جميع أموره، وهذه الآية تعكس هذه الحقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر / ١٥)

"عندما تفيقون من نومكم صباح كل يوم، تجدون أمامكم حياة مهنية لكم ومستعدة ومجهزة بال تمام وبكل تفاصيلها وبشكل دقيق. تتنفسون بكل يسر وسهولة، وتبصرون كل هذه الأشكال والألوان عند أول ما تفتحون أجفانكم.

وأنتم تسمعون بوضوح الأصوات حولكم كل حين، وتشتمون الروائح الطيبة والعطور الذكية، وتقدرون على تناول طعامكم بيسر وسهولة. ولكنكم لا تعرفون ولا تشعرون كيف يعمل نظام المناعة داخل أجسامكم وكيف تقاومون الأمراض وتمعنون عناصرها من الجراثيم من تخريكم من داخل أجسامكم. وأنتم لا تعرفون كيف تهضمون الطعام ولا وسائل استفادة أجسامكم من عناصر الحياة فيها، وليس لكم علم أو إدراك كيف يتصرون وترون الأشياء عندما تنتظرون إليها بعيونكم، أما عمل الدفاع العجيب فليس لكم منه أي علم أو حتى مجرد تفكير في آلية عمله الرهيب.

نحن نتذكر حوادث وأمور حصلت لنا قبل العديد من السنين دون أن نبذل جهدا في حفظها أو إعادة تذكرها. والأهم من هذه كلها، بقاونا بحالة جيدة وبشكل حيوي وفعال في مثل هذا الجسم المحدد الذي يحتوي كل هذه التفاصيل المعقدة والعلاقات المتوازنة، من الأنظمة الحساسة المتشابكة والمحسوبة بدقة متناهية وتقدير يبلغ حد الكمال. ذلك لأننا تحت سيطرة وتوجيه الخالق الباري الذي خلق وصور

هُوَ اللَّهُ الْحَمَدُ لِلَّهِ الْمُحْمَدُ لِلَّهِ الْأَكْمَلُ
الْحَسَنُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(سورة الحشر / 24)

وأحسن صورة. لا يدفعنا كل هذا إلى التفكير مليا في آلاء الله وفضله علينا؟.

هذه الآية تصف الإعجاز العظيم في خلق الإنسان:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّكَ فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَكَبَكَ﴾ (سورة الانفطار / ٦ - ٨)

و هكذا نجد أن الإنسان حينما يفكر في نفسه ووجوده يستطيع أن يجد من الأسباب والدلائل ما يجعله يقترب أكثر من ربه و خالقه ويزداد به تعلقا و حبا له. ونظرة سريعة إلى هذا الكون الفسيح اللامتناهي وما يحتويه من آيات الإعجاز، كلها تؤكّد على عظمة فضل الله تعالى و منته على خلقه، وعطایاته الكثيرة في هذا النظام المعجز الذي سخره لنا و هيئه لمنافعنا.

عندما يفكر الإنسان ويتعمق في إدراك هذه النعم التي أنعمها الله عليه، يقر ويعترف صاغرا أنه بحاجة إلى رحمة هذا الخالق المبدع فهو لا يستطيع حتى أخذ نفس من الهواء إذا أراد الله له غير ذلك، ويكتشف حين إذن أن الله هو

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
(العنكبوت / ٢٢)

كل الخير والصلاح.

﴿ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾
(العنكبوت / ٢٢)

الله لا يثقل كاهل عباده بل يريد لهم اليسر

إن ربنا الرؤوف بعباده، دعا الناس إلى كل ما فيه اليسر والخير والجمال. حينما أرسل رسleه وأنزل كتبه أراد لهم أن يعبدوه ويعرفوا طريقهم إليه بتعاليم بسيطة وعبادات ميسرة، لكل على قدر طاقته واستطاعته. ومن لا يقدر فإن أماته الكثير من السعة وال المجالات الفسيحة لنيل رضاه والوصول إلى محبته. وتأكد العديد من آيات القرآن على أن الدين يسر وتكليفه غير مرهقة:

﴿ وَنُيَسِّرُكُ لِلْيُسْرَىٰ سُورَةٌ ﴾ (الأعلى / ٨)
﴿ وَجَاهُدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَةً أَبِيَّكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي
هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ
وَاعْصُمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَعَمِ الْمُؤْلَى وَنَعِمَ
النَّصِيرُ ﴾ (سورة الحج / ٧٨)
﴿ طَهِ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَتَشْقَى إِلَّا تَذَكِّرَةً ﴾

أقرب ولي و معين و حام له . وهذه الحقيقة أو وضاحتها
 سور القرآن الكريم :

الجمال والخير

في جميع ما خلقه الله

كل ما خلقه الله للإنسان وجميع أوامره وأحكامه،
تجدها الأجمل والأكثر خيرا له لأنها صادرة من رب
رحيم صاحب العدالة المطلقة. حتى في الحوادث
التي تظهر وكأن فيها بعض الشك والشائبة والحيرة،
لاشك وأن فيها الخير والفضل والحكمة. يقول تعالى
في آية:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسِيَ أَنْ تَكْرُهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسِيَ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة / ٢١٦)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاكُمُ الْسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

(سورة الإنسان / ٣)

إن المؤمن يدرك هذه الحقيقة ويعيش فيها،
ويتعامل مع أي حدث يقع له أو كلام وقول يسمعه
بالرضا والقبول التام، ويتوجه إلى ربه ويشكره على
ما منحه من نعم في الحياة، ويذكره بأسمائه الحسنى
ويثنى عليه ويهمد له على تقديره وعطائه وله الذي فيه

وَكَلَّا لَكُمْ أَنْ تُكْرِهُنَّ فَلَا يُرِيدُنَّ شَيْءاً مُّنْهَى
الَّذِي عَيْنَكُمْ لَكُمْ شَيْءٌ فَلَا يُنْهَى لَكُمْ دُكْرُنُّ
(سورة طه / ١١٧)



لَمَنْ يَخْشَى ﴿سورة طه ٦ - ٣﴾
 ﴿الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ (سورة البقرة / ٢٦٨)
 و تظهر رحمة الله وإحسانه إلى عباده في تيسير وتسهيل أحكامه وشرعه، فالدين يسر وما يطلبه من الناس في الحياة الدنيا غير مرهق وغير مكلف. ولقاء هذا التكليف البسيط والامتحان السهل وعدهم بجنت النعيم والخلود فيها في الآخرة إلى أبد الآبدين في حياة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أشكال النعيم والجمال والخير.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةِ مِنْهُ وَرِضْوَانِ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ (٢١) (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ سورة التوبة / ٢١ - ٢٢)

إن الله غني عن العالمين، منزه عن كل نقص. أما الإنسان بحاجة إلى ربه ومعرفته وعبادته والتحلي بالخلق الذي يرضاه له. وليس في استطاعة أقوى الجبارية أو أقوى الأقوياء من البشر الوقوف أمام عظمته وجلبروته، فهو المالك والمهيمن على كل حي وجماد ومن في الأرض والكون وما فيهما، ولكنه يوعد عباده المتقين فهم والذين في قلوبهم الإيمان به ويعملون صالحات الأعمال، بمكافأتهم وتجزيتهم أحسن جراء. وهذه أيضا من أدلة رحمة ربنا ومغفرته ورأفته بخلقه.

عنهم. كما يتمتعون جميعهم بالتفكير الوقاد والذكاء الخارق والاستعداد للتضحية والفداء والصبر والجلد. إنه لطف كبير من الله أن يكون رسلاه وأنبياؤه على هذه الصفات الراقية والخلق القويم.

و من مظاهر حرص الله على عباده ولطفه بهم أن أرسل هؤلاء الرسل ومعهم أحكام وآيات الحكمة ليخرجهم إلى النور من الضلالة التي هم فيه، ويرشدhem إلى سبل الرشاد واليسير. وهكذا مضت سنة الله في خلقه وتواتي الرسل والأنبياء بدعة الخير وجمع الناس تحت لواء الإيمان وتوجيههم إلى رحمة ربهم، والفوز برضاه ونيل المكافأة المجزية الموعودة لهم، ألا وهي جنات الخلد في حياتهم الأخرى. إنه الله الرحمن ذو الرحمة، واهب الفضل والبركة، الرؤوف بعباده واللطيف بهم. وما أحرى بكل ذي عقل وضمير أن يعترف بفضل ربه عليه، ويشكّره ويحمدّه، مسلماً أموره إليه، متوسلاً قبوله مع الذين أحبهم ويحبّونه من عباده الصالحين.

الله يقبل توبة النادمين ويعفو عن خطّاياهم

إن الله عفو يحب العفuo. وفي أي كريمه تتجلّى هذه الحقيقة:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىٍ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة التحـلـ / ٦١)

و الفرصة سانحة وفي كل لحظة، الآن وأنتم تقرؤون هذا الكتاب تستطرون أن تتوجّهوا بقلوب صافية مخلصة تطلبون العفو والغفران من الله، وهي فرصة كبيرة، للصغير والكبير، والمؤمنين منهم خاصة أن يطلبوا بقبول التوبة والندم على ما كسبت أيديهم من الصغار والكبار آملين رحمته وعفّرته وعفوه، متضرعين إليه بقلوب صادقة ونيات مخلصة نقية.

و من مظاهر رحمة ربك على العباد إرسال الرسل والأنبياء وتنزيل الكتب والأحكام لإخراجهم من الظلمات إلى النور والفلاح. وكتابه الجليل، القرآن العظيم، سراج وهاج ينير الدروب للبشرية نحو الرشاد والصلاح وإلى معرفة الخير وإتباعه، والشر لاجتنابه، ووضعهم على طريق الهدى والنور لتجنب سبل الضلال والكفر. وهذا إلى جانب تفصيل الأحكام لهم وتعريفهم بواجباتهم وفرضهم الدينية، من العبادات والأعمال الصالحة، وتعليمهم أسس الأخلاق الحميدة وكيفية التصرف ضمن ما حدده الإيمان من حدود الحرام والحلال.

﴿ وَلَقَدْ جَنَّا هُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف / ٥٢)

والقرآن كتاب مصان بحفظ الله من كل خطأ أو تغيير أو زيادة أو نقصان فيه، ومنزه من أي تحريف، وسيقى هكذا إلى يوم القيمة دليلاً ومرشداً للناس أجمعين. إنها فضل ونعمة كبرى من الله تعالى.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر / ٩)
 ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجَنَّا بَكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَ لَكُلُّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل / ٨٩)

وعلى مر تاريخ البشرية، أرسل الله العديد من الرسل والأنبياء الكرام، اختارهم من أفضال الناس خلقاً واستقامة ومن أهل الرشاد والتقوى والثقة. وقام هؤلاء بدعوة الناس إلى معرفة الله والاعتراف بألوهيته وتوحيده وتنزيهه، ولاقوا في سبيل نشر دعوتهم شتى أنواع العذاب والأذى وحتى القتل. ولم يمنعهم كل هذا من الجهاد والكفاح والعمل الدؤوب في سبيل إعلاء كلمة الحق على الأرض.

من ميزات وخصائص هؤلاء الرسل كونهم جمِيعاً ذوي تقوى ورحمة ورأفة بالمؤمنين من أتباعهم والحرص على لم شملهم والدفاع

قَدْ كَانَ لِكُمْ أَيُّ فِي فَعْلَيْنِ التَّقْتَالِ فَعَلَّمَهُمْ
سَيِّلَ اللَّهِ وَآخْرَى كَافِرَةً يَرَوْنَهُمْ مُشَاهِدِهِمْ رَأَيَ
الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُعْلِمُ بِمَا يَعْصِي هُنَّ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لِعِبْرَةً لِأُولَئِي الْأَبْصَارِ

((سورة آل عمران / ١٣))

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة النور / ١٠)

إن أمل الخلاص للإنسان موجود دائمًا، لأنَّ الرب عفوٌ كريمٌ، وقبول التوبة والدخول إلى رحاب رحمة الله يفتح أمام البشرية أبواب واسعة من التفاؤل، ويجعل الإنسان كائناً يملأه التفاؤل. أما الذين ينسون الله ويصرُّون على الكفر والنكران، ويعيشون حياتهم في فراغٍ إيمانيٍ رهيب، فأنهم حقاً في عالم الضلال والغفلة والظلم، لا تشملهم رحمة الله في دنياهم، ومصيرهم ومأواهم نار جهنم في الحياة الأخرى، وساعتها مصيرًا.

إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنَ السَّالِكِينَ سَبِيلِهِ، وَحَافِظُهُمْ.

المؤمن الذي يمنح الله تعالى محبته ويتوجه إليه بقلب صادق، ويسلِّم أموره إليه ويسلك السبيل التي اختارها للبشرية، يشعر دائمًا

بأن الله معه، يحفظه ويتولى أمره، وأنه يفتح لهم طرق الأمان ويسهل عليهم وييسر شؤونهم طالما هم متمسكون بما أحلم الله ويتجنبون ما حرم، ويمتنعون عن نواهيه. وفي آيات كثيرة في القرآن، يعد الله عباده المؤمنين بأنه قريب منهم وهو معهم ولن يبخسهم أعمالهم، بل يرفع من شأنهم وينصرهم ويكون ولهم. يقول تعالى في آية

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبُيُّنَاتِ فَانْقَمَدُوا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الروم / ٤٧)

و لعل في حياة نبي الله موسى (ع) خير مثال على ما تحقق من وعد الله بالنصر. فحينما هاجر خائفًا على حياته من مدينته التجأ إلى ربه:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (سورة القصص / ٢٤)

داعياً متضرعاً طالباً عونه وتأييده. وكان الله سريع الإجابة لدعائه فألتقي بقومه من المؤمنين هيئوا له فرصة البقاء والعمل معهم. حين كلف الله موسى (ع) بالرسالة، توسل إليه أن يسانده ويدعمه بأخيه هرون (ع)، وكان له ما أراد. ثم نصره الله عندما طارده جيش فرعون وكادوا أن يلحقوا به، فشق البحر لموسى (ع) وأتباعه فعبروا، وأغرق فرعون وجنوده لما طغى عليهم أمواج البحر كالجبال. وقد وردت حادثة عبور موسى وهرون (عليهما السلام) وأتباعهما في سورة الصافات:

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبَ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمْ

"إِنَّا لِنَصْرٍ رُّسْلَنَا وَالَّذِيْجَ آتَيْنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُوْمُ الْأَشْهَادُ سُورَة
(الْمُؤْمِنُ / ٥١)

أن الله وحده هو الذي هيأها له. ومن الخطأ أن يظن أو يتصور أن غيره قام أو ساهم في الإيفاء بها. فإذا لجأ إلى طبيب يطلب منه الشفاء من مرض عضال أصابه، وما الطبيب والأدوية إلا وسائل الشفاء التي يأتي من عند الله. وهكذا من يوكل عنه محاميا للدفاع عنه في قضيته، يجب أن لا ينسى أن الله هو وكيله الحقيقي، وما المحامي إلا وسيلة تنفيذ إرادة رب في إحقاق حقوقه، وتطبيق العدالة. فالله تعالى هو من يوجه الأمور ويحدد تائجها بأحسن شكل وأجمل وجه. وهذه نعمة بالغة وفضل عظيم من الله.

"إن من يتوكّل على الله وينيّط به جميع أموره وشّؤونه سيجد الله أفضّل معين ووليّ له. فهو الذي ينعم على من يشاء من المؤمنين بالعون والتأييد. ومن يدرك هذه الحقيقة لا يحتاج أن يلجأ إلى أحد أو يتولّ بأحد غير الله. لأنّه يعلم يقيناً أنّ ربه هو الملّاحُ الوحيدي. وسوف يشّكره عندما يننجح ويفوز، ويحمدّه حينما يتخلّص من ضيق أو مشكلة، وهو دائم الذّكر له والثناء عليه ويزداد حباً وتعلقاً بربه فيسلّم إليه أموره طوال حياته وهو واثق ومطمئن من خواتم أعماله. وفي الآية الآتية تعبير واضح

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَى لِكُمْ وَلَكُمْ مِنْ حُكْمٍ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(سورة آل عمران / ١٢٦)

﴿الْغَالِبِينَ﴾ (سورة الصافات / ١١٤-١١٦)

”وَنَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ (ع) أَيْضًا نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ بِإِنْقَاذِهِ مِنَ الطَّوفَانِ الَّذِي طَغَى عَلَى الْأَرْضِ وَقُضِيَّ عَلَى مَا فِيهَا. إِذَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ بِصُنْعِ السَّفِينَةِ، وَمِنْ حَمْلِهِ مَعَهُمْ أَنْقَذَهُمْ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ. وَأَنْقَذَ اللَّهُ رَسُولُهُ عِيسَى (ع) عِنْدَمَا أَرَادُوا لِصْلَبَهُ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ. وَأَخْرَجَ يُوسُفَ (ع) مِنَ السَّجْنِ وَأَجْلَسَهُ سَدَّةَ الْحُكْمِ وَالْمَقَامِ الرَّفِيعِ. وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٌ (ص)، حِينَ نَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَأَعْزَهُ بِالْإِسْلَامِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَكَانَ وَعْدُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْعُوْنَ رَحْمَةً وَبِرْدًا وَسَلَامًا عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَازْدَادُوا اطْمِنَانًا وَثَقَةً بِظَهُورِ دِينِهِمْ.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (سورة الأحزاب / ١٧)

إِنَّ الْإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى رَبِّهِ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ مَعِينٍ أَوْ نَصِيرٍ. فَهُوَ الَّذِي يَلْبِي دُعَاءَهُ عِنْدَ الضَّيْقِ وَيَفْرَجُ عَنْهُ الْكُرْبَ وَيَنْعِمُ عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ وَالْكَرْمِ وَيَرْفَعُ عَنْهُ الْبَلَاءَ وَالْمَحْنَ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ وَالْفَرْجِ. وَإِنَّ إِنْسَانًا حِينَ يَتَمْتَعُ بِكُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ لَا يَحْبُّ أَنْ يَنْسِي

إنها لنعمه وفضل كبير من الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض وما في الكون الفسيح، الحاكم الوحيد والمدير الحكيم لكل ما فيه من كائنات و موجودات من الأحياء والجماد، أن يسمع استغاثة عبده ويسارع إلى استجابة دعواته ونجاته وعونه.

إن الإنسان يستطيع أن يدعوا ربه طالبا منه ما شاء إلا ما يخرج عن حدود الحلال ويدخل في دائرة الحرام. وفي سور القرآن آيات كثيرة وأمثلة لاستجابة الله لدعوات رسليه وأنبيائه:

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنَعِمُ الْمُجِيُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكُرُبَ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (سورة الصافات / ٧٧-٧٥)
إن استجابة الله لدعوات ليست للأنبياء والرسل دون غيرهم. وإنما لعموم عباد الله من المتقين والصالحين وحتى للعاصين إذا استغفروا. هذه الآية من سورة النمل تأكيد على هذه الحقيقة:

وصريح لحال المؤمن الذي
يكون الله وليه:

﴿ مَا نَسَخَ مِنْ أَيِّ أَوْ
نُسِّهَا نَأْتِ بَخْيْرَ مِنْهَا أَوْ مُنْتَهَا
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكُلَّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (سورة
البقرة ٦١٠-١٠٧)

الله مجيب الدعاء

ليس للإنسان قدرة ذاتية خاصة به. ولذلك
 فهو بحاجة إلى كل يوم وساعة إلى الاستعانة بربه
 وقدرته العظمى، وإلى طلب رحمته وعونه ولطفه، كما أنه
 يحتاج حتماً إلى أن يكون الله معه. وقد بشر الله تعالى عباده
 أن رحمته قريبة منهم إذا دعوا ربهم وتضرعوا إليه واستغاثوا
 به طالبين نجاته وفرجه.

وإذا سألكَ عبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِي إِذَا
 دَعَانِي فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾
(سورة البقرة ١٨٦)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (سورة المؤمن ٦٠)

الله هو العدل المطلق

يصادف الإنسان في حياته الكثير من الحالات التي تبدو وكأنها لا تنسم بالعدالة في القرار أو الإجراء. فمنهم من لا يعدل في تجارتة وأعماله، أو في شهادته وحكمه وقراره. جاعلا من مصلحته الخاصة ومنافعه الذاتية الهدف الأول، مبعدا عن ضميره ووجданه مفهوم العدالة. في حين أن العدالة هي الشاهد الأول على حسن الأخلاق والشخصية المستقيمة لأي فرد. فالمجتمعات البشرية تنظر بمنتهى الاحترام والتقدير لمن يتمتع بهذه الصفات الفاضلة. بل ويكسب حب واعتراف حتى خصومه ومن هم ليسوا على فكره ومعتقداته، ويتجاوز الأمر إلى

ادْعُوا رَبّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِيْعَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمْعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ
قَرِيبٌ مِّنِ الْمُحْسِنِينَ

(سورة الأعراف / ٥٥-٥٦)

﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ
الْأَرْضِ أَئْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النمل / ٦٢)

و يا له من فرح كبير وبغطة أن يرى العبد استجابة ربه لدعائه، حيث يشعر بتيقن أن الله قريب منه وهو معه يراه ويسمعه ويعلم حتى ما قد خطر بيده ويحول بخاطره. وتزداد ثقته واطمئنانه على نفسه لتيقنه أن مولاه لن يتركه عند أوقات الضيق وساعات الحرج، ينتظر منه العون والمدد أملًا في المزيد من الفضل والكرم، وهذه عوامل تدفعه بشوق كبير إلى التقرب من خالقه، وتقوي من محبته له وتسليمه أموره إليه صاغراً وراضياً.

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى
عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
(سورة إبراهيم / ٣٨)



النظر إليه كعنوان للبطولة والشهامة.

إن الله تعالى هو تمام وكمال العدالة. تتجلى في أحكماته العادلة حكمته، وتنعكس ذلك على عباده وملائقاته. فالإنسان لقي ووجد ما يستحقه بحقه، وهو لا يزال كذلك وسوف يلقى بدون تقدير أو نقص مقابل أعماله وأفعاله بكل عدالة وقسط. الآية التالية توضح كيف أن الإنسان يلقى نتائج أعماله يوم القيمة بكل عدالة وبميزان الحق والقسطاس المستقيم.

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ يَامَاهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَيَلَا

﴿ سورة الإسراء / ٧١

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة سباء / ٢٦)

و من المؤكد أن المؤمن يزداد اقتراباً ومحبة وارتباطاً بحالقه حينما يؤمن ويعتقد جازماً بعدل الله المطلقة، وحينذاك يسلمه أمره جميراً وهو مطمئن ومرتاح النفس والضمير. وهو واثق كذلك أن العدالة الإلهية تظهر وتحكم في جميع ما سوف يصادفه أو يتوقعه أو يمر به في حياته، ومن ثم يتقبل راضياً نتائج الأحداث بكل سرور.

مَا أَصَابَ مِنْ مُضِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونُوا إِنَّ
كُلَّكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
(سورة الحديد / ٢٢)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
السَّمَوَاتِ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يُنْزَلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يُعْرِجُ فِيهَا
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(سورة الحديد / ٤)

يعتقد البعض أن التمسك بحب الله
لوحدة هو الذي يوصلهم إلى طريق الإسلام والتحلي
بالأخلاق والآداب الربانية وكسب رضا الله عنهم. غير إن
الله تعالى يذكر في القرآن أن المؤمنين الصالحين المتقيين يخشون
ربهم بكل جوارحهم وحرकاتهم وسكناتهم، وبقلوب وجلة خائفة،
وفي نفس الوقت فهم منغممون في محبة الله وطلب التقرب منه بكل شوق
ووجد. وأصحاب الإيمان من الذين يعرفون قدرة الله تعالى، يشعرون بهذه
العظمة والجلال الرباني ويدعون تجاهها الخشوع والخشية والرهبة. وإذا ما
تمسك هؤلاء بحدود الله وتعاليمه، فإن الله يهبهم ما يستحقونه من قوة الإيمان
والقدرة على مواجهة الأزمات والتفرق بين الخير والشر، والصلاح والظلال
والصواب والخطأ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(سورة الأنفال / ٢٩)

"إن المؤمن الذي يتقي الله ويخشاه لا يكذب أبداً
حتى وإن تأثرت مصالحه ومنافعه، وهو يخشى أن
يخسر رضا الله وحرمانه من نعم إذا ما
تصرف بسوء، وهذا



مَحْبَةُ اللهِ
وَخَشْيَةُ اللهِ مُتَلَازِ مَتَانٍ

ضمنها بعدها ونراها واستقامة، ولكنه لا يمانع في تجاوزها لحدودية قدرته على المقاومة والتحمل. أما المؤمن المتقى الذي ترسخت في قلبه خشية الله، فإن حدود هذا التحمل ومقاومة المغريات أو الضغوط التي يتعرض لها، كبيرة جداً وواسعة. ويتمسك بسلوك السائرين في سبيل الله القويم، وهو يعتمد أيضاً على ربه في مواجهة المصاعب والخطوب، ويضرع إليه داعياً وطالباً مخرجاً سهلاً وفرجاً قريباً مما هو فيه، ويتوكل على ربه حق توكله.

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا
وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِيهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة التغابن / ١٦)

يدفعه إلى مزيد من الاستقامة والحق. ويقاد مسرعاً إلى التوبة والاستغفار عازماً على عدم العودة إذا بدر منه أي خطأ أو خلل. وهذا المؤمن لا يمكن أن يتوقع منه أحد أن يمد يده إلى حرام أو أن يلتجأ إلى الكسب غير المشروع حتى وإن وقع في أوضاع حياتية بائسة قاسية. وخشية الله تلجمه من الوقوع في الزلل.

إن الإنسان الذي ليس في قلبه خشية الله، له حدود ضيقة يتحرك

وَأَنفَقُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
الْتَّهْلِكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(سورة البقرة / ١٩٥)



إن الله يحب عباده ويرأف بهم، ويخلق لهم كل ما هو جميل وحسن ولطيف. عطاياه كثيرة وبدون مقابل أو بدل. وليس بعيد عن رحمته إلا المشركون والمنكرون له. وأنه صاحب العدالة المطلقة، فهو ينشر رحمته على من يتوجه إليه بقلب حاشعة ينصره في الحياة الدنيا ويكافئه بالنعم في الآخرة. أما الكافر بنعمه والنافر لفضله وبربوبيته فليس له إلا الجحيم والعذاب الأبدي.

من يؤمن بعظمة وجلال الخالق وقدرته المطلقة غير المحددة بحدود يخشع قلبه وحواره لذكر الله في كل لحظة من حياته، وتأخذه الرهبة عند تذكر عذاب الآخرة عقاباً لمن عصا وتجبر. وهذه الخشية والخشوع يظهران فيما يقوم به من أعمال وأفعال وتصيرات وتحاشيه الواقع في النواهي والمعاصي. ومن جهة أخرى، وأنه كان الإيمان بعفوه ومغفرته والخشوع قلبه وتعلقه بالحب الشديد لربه، واعتقاده باستحبابه للتأب والنادم، فإنه يطمح في نيل رضاه وما وعد عباده من نعيم الجنات في الآخرة. هذه الأخلاق الإيمانية تبينها الآيات القرآنية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران / ١٠٢)

"وَمَنْ يَرْتَبِطْ بِرَبِّهِ بِالْحُبِّ، يَتَصَرَّفُ فِي حَيَاتِهِ بِمَا يُؤْمِنُ لَهُ كَسْبُ رِضَا اللَّهِ، وَيَتَحَشَّى الْوَقْتُ فِيمَا يُؤْدِي بِهِ إِلَى الْخَسْرَانِ وَاستحقاق غضب اللَّهِ وَسُخْطَهُ وَعِقَابِهِ الشَّدِيدِ. يَيْشِرُ اللَّهُ هُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُرْآنِهِ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (الإِسْرَاءُ / ١٩)

شَمَّ ارْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّتْيْنِ يَنْقِلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
حَاسِيْنَا وَهُوَ حَسِيْرٌ
((سورة الملك / ٤))

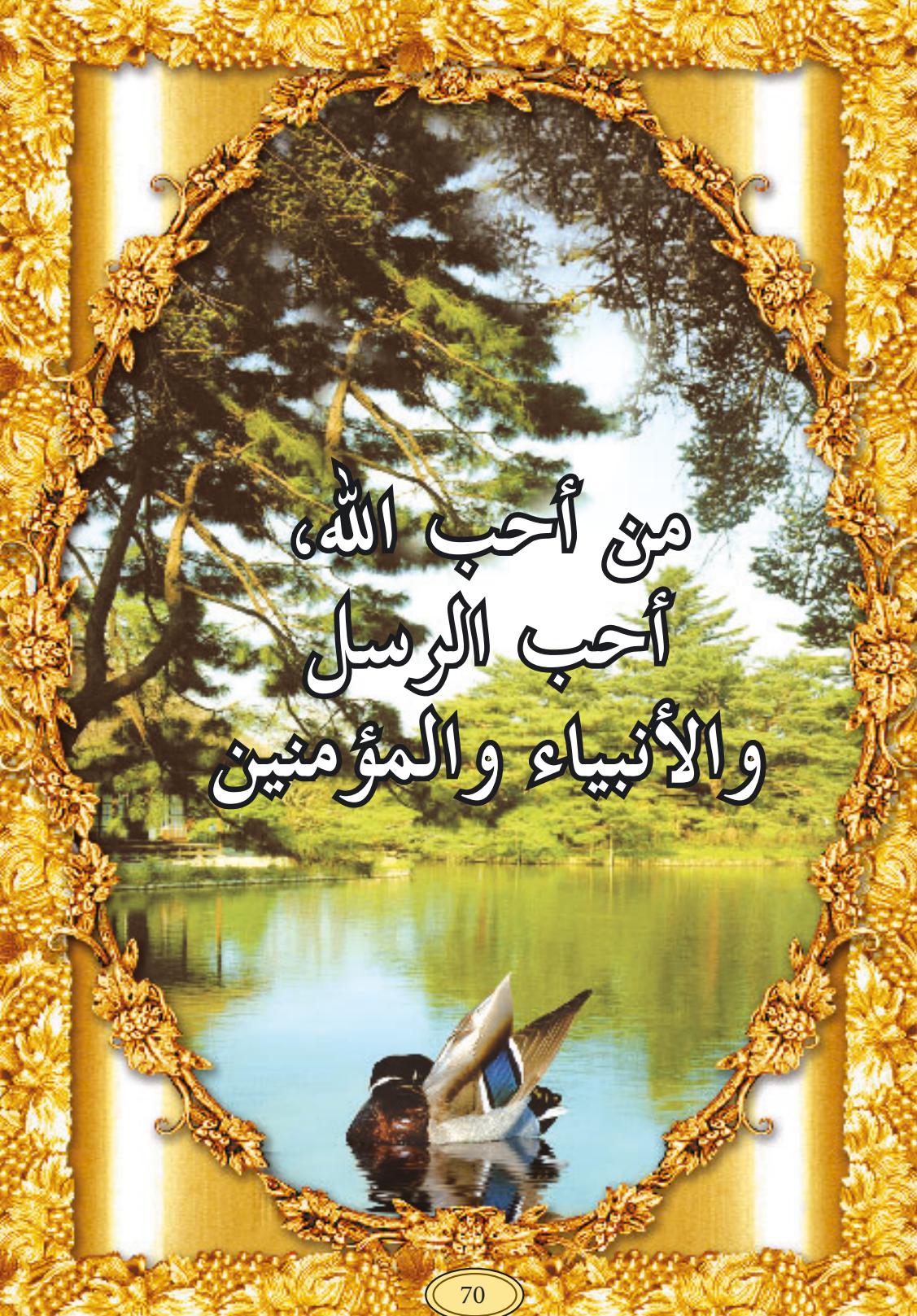


إن المؤمنين الذين يرتبون برباط
حب وتعلق وثيق بالله تعالى، يحبون كافة ما خلقه
الله ويجدون في كل مخلوق مظها لصفات الله الحسنى.
﴿ إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ سُورَةٌ ﴾ (المائدة/٥٥)

"هذه الآية تؤكد أن المؤمن الصادق يشعر بحب عميق وصادق
واحترام وتقدير لائق لجميع الرسل والأنبياء المرسلين لأرشاد البشر إلى سبيل
الرشاد والهدى، وأيضاً للمؤمنين الصالحين من عباده. إن الأنبياء عباد صالحون
اختارهم الله لمزاياهم وصفاتهم العالية التي تجعلهم نماذج وقدوة للناس ليتشبهوا
بهم في التقوى والإيمان العميق.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب/٢١)

"وَ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ (ص) كَانَ أَحْسَنُ مَثَالٍ وَ خَيْرُ قَدْوَةٍ حَسَنَةٌ
في كل ما قام به من أفعال ونطق به من أقوال خلال حياته
الشرفية. إيمانه الكامل والعميق بالله وتقواه وحبه الشديد
لربه وخشيته، مع صبره وشفقته ورحمته بمن
تبعه، وشيمه الفاضلة وآدابه



من أحب الله
أحب الرسول
والأئباء والمؤمنين

مدى ما يكنه من تعلق وحب لذات الله تعالى. كما وأن حب المؤمن لغيره من المؤمنين، نتيجة طبيعية لأخلاقه العالية وإيمانه وتقواه، ولو لم يكن رأه أو شاهده أو التقى به. وكذلك هو حب المؤمنين هم للرسل والأنبياء الذين لم يلتقو بهم أو يروهم أو يكونوا معهم. آيات كثيرة في القرآن تتحدث عن الرسل وما قاموا به من جهاد وكفاح كبير في سبيل تبليغ رسالة الله دعوته، وما بذلوه من حب ورقة وشفقة بالمؤمنين، هذه الآيات الكريمة تدفع المؤمنين إلى الشوق والتعلق أكثر بهؤلاء الرسل والأنبياء، وتزيد من حبهم لهم. والمؤمنون يذكرونهم باحترام ومحبة وتقدير جاعلين منهم أمثلة ونماذج إنسانية كاملة، ويتذكرون دائماً عظمة مقامهم وفضائل صفاتهم وأخلاقهم، محاولين الاهتداء بهديهم والسير على طريقهم. ويصل هذا الحب والتقدير إلى درجة تفضيلهم حتى على أنفسهم أهليهم

﴿النَّبِيُّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْ أُولْيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾
(الأحزاب / ٦)

و هذه بعض الآيات من القرآن الكريم تؤكد على ميزات وخصائص الأنبياء والرسل الكرام وتذكيرهم بكل خير ومحبة وتشير إلى علو شأنهم:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْدُرِيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾

السامية نبراس ينير الدروب لمن يدخل نفسه في زمرة المسلمين.
يحدثنا رسولنا الكريم (ص) عن حب الله وحب رسوله والمؤمنين
فيقول في أحاديث منها:

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما). و قال (ص) أيضاً عندما سُئل يا رسول الله ما هو الإيمان؟ . قال " أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما " . (و عن أنس (رض) قال ، قال رسول الله (ص) " ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ، ومن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى إلى النار " .)

إن جميع رسل الله وأنبياءه اختارهم الله لعلوا أخلاقهم وصفاتهم الحميدة، وقد ذكرهم في القرآن مادحا لهم وواصفاً مزاياهم العالية ومشياً عليهم أحسن ثناء باعتبارهم قدوة للبشر. فالأنبياء والرسل الكرام مثل سيدنا محمد (ص) وسادتنا موسى وعيسى وإبراهيم وهارون ويعقوب ويوسف ويونس ويسوع وإسماعيل وسليمان وداود عليهم سلام الله أجمعين، وغيرهم من الأنبياء امتازوا بإيمانهم الخالص والعميق بالله تعالى وتقواهم وخشيتهم البالغة منه، وعرفوا مكانتهم وسمو أخلاقهم وكانوا قدوة ونماذج يحتذى بهم للبشر عامة. والمؤمنون السائرون في طريقهم يسعون ويجهدون للقتداء بهم، متخذين من القرآن دليلاً ومرشداً للوصول إلى ما وصلوا إليه من الحب الإلهي ويتسابقون في عمل الخيرات والصالحات من الأعمال ليستحقوا رحمة الله، ولن يكونوا في جنات الخلد مع الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

هذا الحب العميق الذي يحسه ويشعر به المؤمن تجاه رسول الله يظهر

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ

لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

(سورة آل عمران / ١٦٤)

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ
فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَةِ
وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ مَسْوِرَةً
(الأنبياء / ٧٣)

سبيله. فالأولى أن يحب المؤمن أخوته المؤمنين ويتعلق بهم قلباً و قالباً و شعوراً. وتورد آيات القرآن مدى حب المؤمنين لبعضهم، ومظاهر الشفقة والعطف والرحمة التي تتحكم وتوجه أفعالهم.

﴿ وَاصْرُرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾
(الكهف / ٢٨)

﴿ وَاعْتَصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإذْ كُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالْفَلَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْفَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ ﴾
(آل عمران ١٠٣)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾
(الصف / ٤)

لنفسه مُبِينٌ ﴿سورة الصافات / ١٠٨-١١٣﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مُنْعَبَادُنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿سورة الصافات / ١١٩ - ١٢٢﴾

﴿إِلَيْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ سورة ﴾

﴿الصافات / ١٢٣ - ١٢٩ - ١٣٢﴾

﴿رَبُّهُ بَقَلْبُ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَنْفُكَ آلَهَةُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

﴿سورة الصافات / ٨٤ - ٨٧﴾

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

﴿سورة الصافات / ١٨١ - ١٨٢﴾

إن الأنبياء والرسل هم أكرم الناس وأقرب المؤمنين إليه تعالى، وأحب الناس عند الله وأحبهم إلى المؤمنين، كما هو واجب عليهم المضي في طريقهم والاقتداء بهم والتشبه بأخلاقهم وسيرهم بحرص ورغبة وإخلاص.

من أحب الله، أحب أحباءه المؤمنين

من البديهي والمسلم به أن من أحب الله تعالى وأخلص له، لا بد أن يشعر بالحب والودة لمن يحبه الله أيضا. فأصحاب الله أصحابه، ومن يرضى عنه الله يرضى هو عنهم، لأنهم عباده الصالحين الذين يسلكون

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
(سورة النساء / ١٧٠)

رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ يَتْهِيْرُكُمْ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ الظُّلْمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخَلُهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا
(سورة الطلاق / ١١)

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(التوبه / ٧١)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَا جَرُوا وَجَاهُوا فِي أَمْرِ رَبِّهِمْ
وَأَنفُسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آتُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءِ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَا جَرُوا لَا
مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَا جَرُوا وَلَا
إِنْتَصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ
يَسْتَكْفِمُ وَيَنْهَا مِشَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(الأنفال / 72)



عن إقدام بن كعب (رض)،

يقول رسول الله (ص):

إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه. ٢

و عن عطاء (رض) يقول رسول الله (ص)

تزاوروا وتهادوا فإن الزيارة تثبت الود وأن الهدية تسل

السخيمة. ٣

ـ تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسيعة في أرزاقكم ٤

ـ إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويألفون، وإن أبغظكم المشاءون
بالنميمة المفرقون بين الإخوان. ٥

ـ مثل الأخوين إذا التقى مثل اليدين تغسل أحدهما
الأخرى. ٦

ـ لا تدابروا ولا تبغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله
إخوانا. ٧

ـ أحبو الله لما يغدوكم به من نعمة وأحبوني الله
تعالى ٨

ـ ومن تواضع الله رفعه الله ومن
تكبر وضعه الله... ومن أكثر ذكر
الله أحبه الله. ٩



أقوال النبي في الحث على المحبة

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ

(سورة لقمان / ٢٠)

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَبْلُغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأُمِسِّكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
وَلَا تَسْخَلُوا آيَاتِ اللَّهِ هُنْزُورًا وَإِذْ كُرِّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ
يُعَظِّمُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيهِمْ سُورَةٌ

((البقرة / 231))

إن المؤمنين الذين يعيشون في حياتهم
الدنيا بإرضاء الله ونيل رحمته وعفوه، وكسب نعيم
الآخرة، والذين يتعلّق قلوبهم بحب الله وأسلطهم بذكره،

هؤلاء يعيشون ويحيون الله تعالى:

﴿ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ

الْحَاسِبِينَ﴾ (سورة الأنعام/ ١٦٢)

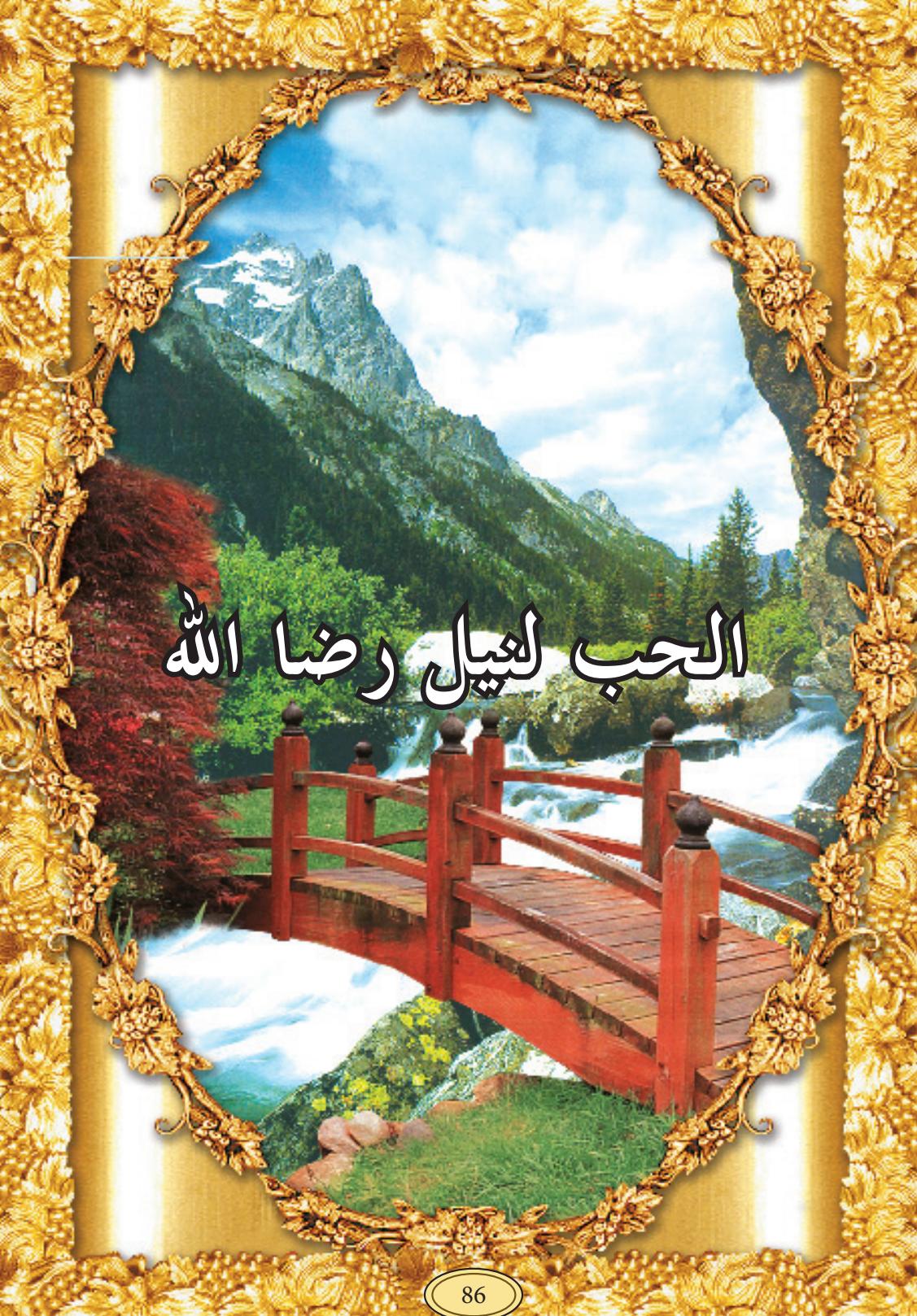
هذه الآية تأكيد صريح أن المؤمن هو من تكون غاياته وأهدافه كسب رضا الله عنه. ومن يكون هذه أهدافه لابد أن يكون حبه أيضاً لله، ولا بد كذلك أن يكون هذا الحب من القوة والمتانة ما يليق بهذا المقام ولا يمكن قياسه أو مقارنته بأي حب مهما كان نوعه أو غايته. كيف لا والمؤمن دائم التفكير في ربه وما خلقه من نعم وآلاء وقدرته وسلطته على المخلوقات. حياته وعيشته مع الله وفي سبيل إرضاءه واتقاء غضبه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحْبِّونَهُمْ كَحُبِّ

اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة/ ١٦٥)



الحُبُّ لِعِيْلِ رَضَا اللَّهُ

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا
((الفرقان / ٢٦))

ذن هناك الحب الذي يديه بعض الناس
 لمخلوقات أكثر من مقدار حبهم الله (حاشا
 الله) و هو لاء مشركون بربهم يجعلون له أندادا .
 أما المؤمنون فأنهم يدركون أن لا قوة ولا قدرة
 ولا خير أو جمال أو حسن في أي كائن مخلوق
 لذاته . وأن هذه المخلوقات من أحيا و جماد
 مع ما هم عليه من حال أو ما هم فيه ، إنما ملك
 الحالق الذي أوجدهم من العدم . إذ ليس بمقدور
 كائن ما كان حيا أو جمادا أن يخطط ويصمم وينفذ
 ما هو عليه من إبداع أو حتى يتدخل فيه . إن جمال
 أي إنسان أو جاذبية أي حيوان له عمر و وقت محدود
 معلوم ، يتعرض خلاله إلى التقادم والتغيير ثم الفناء إذا ما
 جاء أجله بأذن الله . فكل جمال أو حسن هو تحت حكم
 وسيطرة الله . لذلك فعندما يحب المؤمن الأشياء الجميلة أو
 أيها من خلق الله ، فهو نتيجة طبيعية لإيمانه و اعتقاده بأنها جميا
 من صنع خالق مبدع و مقتدر ، فيتووجه إليه بحبه و إعجابه و يزداد يقينا
 بهذا الرب الذي وضع الإبداع والجمال في الأشياء .

و كان النبي (ص) يذكر المؤمنين دائمًا أن حبهم بعضهم بعضاً يحب أن يكون الله وحده وفي سبيل إرضاعه: عن أبي ذر (رض) يقول، قال رسول الله (ص):
"أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله." ١٠
و عنه أيضًا (ص):





بينهم وعلى المنافع، ناسين الله تعالى. أما ما يشعر به الناس من الحب والتعلق بالدنيا ومتاعها ومباهجها وزخرفتها ولهوها وتفضيلها على محبة الله تعالى، فيقول في ذلك القرآن:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبه / ٢٤)

إن المؤمن يحب نعم الله وزينة الدنيا ومتاعها لأنها مظهر من مظاهر الخالق المبدع ليس إلا. أما حبه الحقيقي والكبير فهو لإخوانه المؤمنين الذين يتحلون بالأخلاق الرفيعة والآداب السامية كما يريد لها الله لهم. وهذا الحب في الله ليس فيه من أسباب إنسانية وعواطف جاهلية مثل القومية أو العرق أو اللون أو اللغة، كما ليس فيه أي اعتبار أو قيمة للمال أو الجاه أو المقام الرفيع أو أي قيمة مادية أخرى. يقول تعالى في وصف هذا الحب:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْبِبُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتَرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بَهُمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر / ٩)

و كما وردت من معاني جليلة في الآية، فإن المؤمن يحب المؤمنين كحبه لإخوانه وأشقائه وأهله ولا يتواتي أو يتتردد عن تأمين راحة المؤمن أو منافعه ومصالحه بكل جهد وتضحية وتفان. هذا الحب الرباني لا يمكن إدراكه إلا بالتحلي بأخلاق القرآن.

يقول رسولنا الكريم (ص) واصفاً عظيم مقام الحب في الله ما رواه

"أُوْتَقَ عَرِيَّ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ". ١١

(أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَاعَةِ جَرْفِ هَارِ فَأَنْهَا بِهِ...?)

(... فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْتَدِيُّ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.)

أما من يشرك بربه، فعندما يمتلك جمالاً شكل انسان فانه يعتقد أن هذه الصفة ملك لذلك الانسان. هذا الموقف من المشرك يشبه من يزور متحفاً للاعمال الفنية ويعجب بلوحات أو رسوماً معتقداً أن الجمال والروعة تأتي من اللوحة نفسها. والمفروض منه أن يمتدح الرسام الذي قام بالعمل. وهكذا إذا أحب أو اعجب أحد بانسان لحسنه وجماله أو لصوت جميل ولحن رخيم، أو تلذذ من طعام، عليه أن يتذكّر فوراً الحال العظيم ويتوجه اليه بالشكر والثناء والاعجاب. والذين يؤمّنون بالله حق الاعيال، ولا يشركون به أو يتخدّون أنداداً يرجّعون الفضل كلّه لله ويشتّدّ حبّهم وتعلّقه به.

(لوحة- لاسال كار- المعروضة في متحف اللوفل للرسام جوسيبي كاستيليوني- ١٨٦٥)،

و في القرآن الكريم يخاطب النبي إبراهيم (ع) قومه المشركين:
﴿وَقَالَ إِنَّمَا أَتَنَحَّدُّ مِنْ دُونَ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةً يَبْنِيْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَا كُمُّ النَّارِ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (العنكبوت / ٢٥)

و تبيّن الآية الكريمة أن الحب والارتباط الوثيق الظاهر في العلاقة بين المشركين والمنكرين سوف ينقلب إلى كراهية وبغض شديد في الآخرة. وذلك بسبب اعتقادهم أن جميع أهدافهم وغاياتهم تنحصر و تتمحور فيما

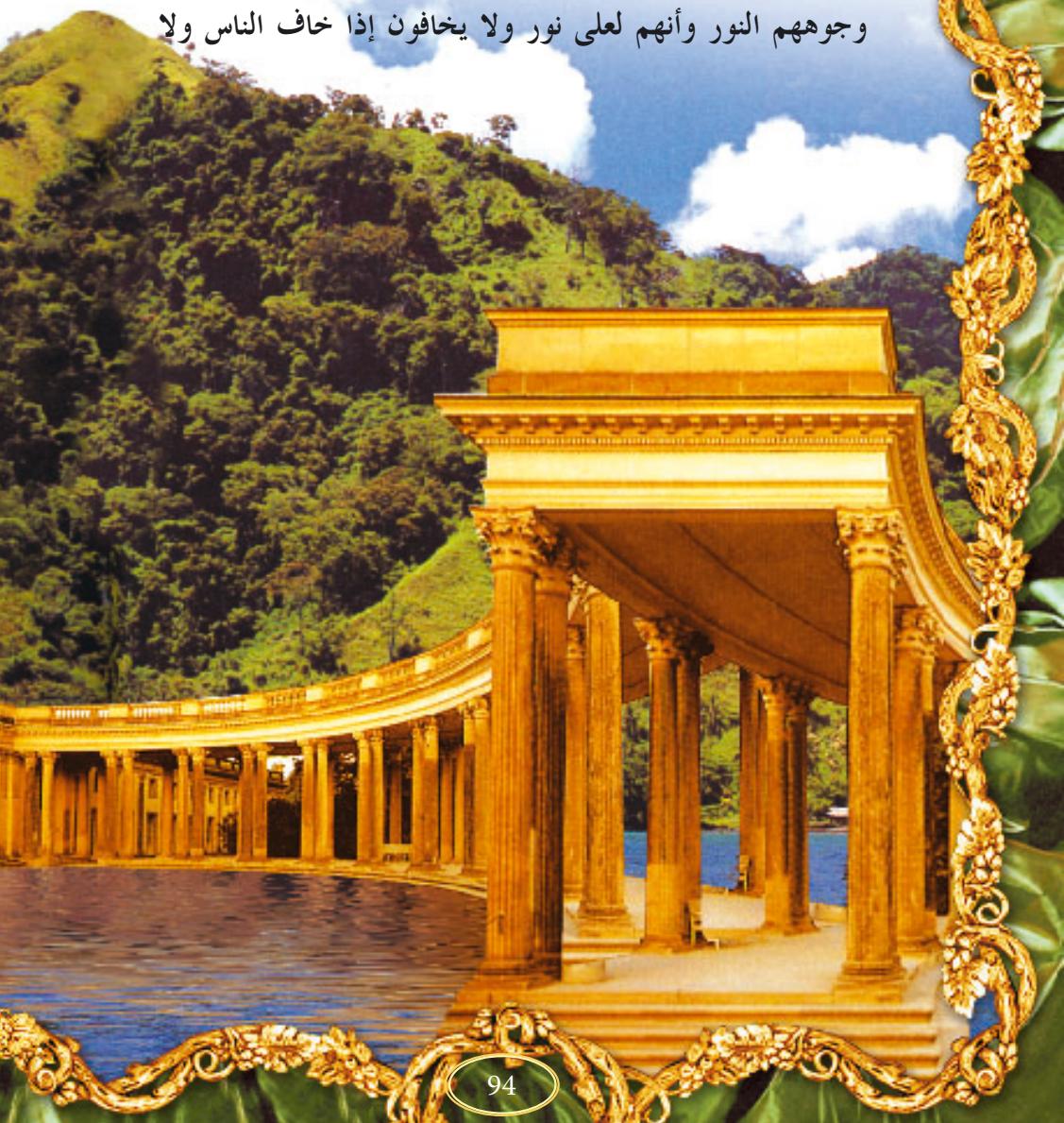
يحزنون إذا حزن الناس" ١٢

إن الذي وهب وأنعم هذا الحب الظاهر للمؤمنين هو الله ربنا.
ويصف كيف أعطى ومنح النبي الله يحيى(ع) الشعور بالمحبة والرقة:
﴿يَا يَحْيَىٰ خُذُ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِيَنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا
وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَّاهُ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم / ١٢-١٣)
و في أي أخرى يخبرنا الله أن من يعمل الصالحات من المؤمنين
يجهل من عنده الحب:

وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ
(عَاقِبَةُ الْأُمُورِ الْقَمَان / ٢٢)

سيدنا عمر بن الخطاب (رض):

(قال رسول الله (ص): أن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى". قالوا يا رسول الله فخبرنا عنهم. قال " هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. فوالله أن وجوههم النور وأنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا



﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا ﴾
(مريم / ٩٦)

و لعله من المهم أن نذكر هنا أن من يحب لوجه الله وإرضاءه، يتوجه بهذا الحب إلى من هو على إيمان وقوى وخلق قرآنی ومن هم أكثر قربا من الله بأعماله الصالحة. ولهذا يكون رسولنا محمد (ص) هو أحب الناس إلى المؤمن وأكثراهم قربا منه.

الحب الصادق يعيش وينمو مع الأخلاق القرآنية

إن من هو قريب من ربه ومتصلق قلبه بحبه، يرى ويعيش ويسعى بالمحبة تجاه جميع ما خلقه الله. فهو حينما ينظر إلى مشهد طباعي جميل أو إلى زهرة يانعة أو فراشة ملونة أو قط أليف وديع، تبعث في داخله مشاعر جياشة وتتدفق في نفسه أحاسيس جميلة عميقه. وهذه الأحاسيس يشعر بها الإنسان عندما يتلقى بشخص جميل الخلق والأدب والمزايا وحسن المظاهر والقوم والخلق. ذلك لأن هذه المظاهر هي في الحقيقة ظواهر إلهية تدل على الحالق المبدع. وفي كل هذه المظاهر البدعة من جمال التخطيط والصنوع الدقيق الكائن في المخلوقات من حولنا، يبرز ويوضح بجلاء حلال مقام الحالق، وهذا ما يؤدي إلى المشاعر الدفقة من المحبة وتؤدي إلى حصول حالات من الوجود في قلب الإنسان. إن الذين يعيشون حقيقة الحب الحالص هم أولئك الذين تعلقت قلوبهم ونفوسهم بحب الله تعالى.

و يشكل الخلق القرآني أساس هذه المحبة وهذا البناء المبارك.

فَإِنْ قِيمَةَ مَنْ يَجِدُهُ كَمِيَّةُ فَطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبَدِيلَ لِعَلْقَمَةِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقِيمَةُ وَلِكُلِّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يُكَلِّمُونَ
(الرُّوْم / ٣٥)

وَمَنْ أَحْسَنْ قُرْلًا مَمْنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
(فصلت / ٣٣)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْحَةَ اللَّهِ
وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ
(البقرة / ٢٥٧)

نتائج تأتي من هذه العلاقة، وتومن للإنسان الصبر والثبات طوال عمره واستمرار حياته على الأرض. والأسس المتينة لحب المؤمن هي الإيمان وخشية الله والتمسك بالقرآن وأخلاقه التي تخلق عناصر القوة والثبات والعمق بقدر درجة التعلق بالله ومحبته. وبالتالي كسب رضاه. والمؤمن يعرف أن هذا الحب سوف يستمر ويدوم ليس في الدنيا فحسب وإنما في الحياة الأخرى وإلى الأبد، وهذه الحقيقة سبب

قُلْ لَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَكْنِي هَا وَلَا يَكْسِرُنَا وَرُزْقُهُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ إِذْ هَذَا اللَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانُهُمْ أَصْحَابُ يَكْدِعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِنَّمَا قُلْ إِنَّمَا هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا إِنْسَالُهُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام / 71)

فليس بالإمكان أن ينمو الحب تجاه إنسان ما إلا إذا تآلف وتناغم هذا الإنسان مع أخلاق القرآن بصورة كاملة وفي جميع مظاهر أفعاله وتصرفاته. ذلك أن من يتقرب إلى القرآن فإنه سوف يعيش حياته مكتسباً أجمل الصفات وأحسنتها وأقومها وبما يرضي الله.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدُوا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثُوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴾ (مريم / ٧٦)

في هذه الآية تأكيد على أن الاستمرار والثبات في اكتساب الأخلاق القرآنية يأتي من خلال التعليق بالله. ومن مظاهره هذه المفاهيم الجميلة مثل الوفاء والصدق والاحترام والمحبة والواضع والتضحيه والاستقامة والتفاؤل والتسامح والرحمة واللطف واللين والشجاعة والحزم وهي كلها

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُرْلِيَّاتٍ إِنَّ أَعْنَدِي لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ لَنْ لَا
﴿ (الكافرون / ١٥٧) ﴾

ووجهه آخر لتحقيق أواصر هذا الحب وجعلها أقوى وأوثق.
إن الذي يتمسك بالخلق القرآني، يجعله كائناً سامي المكانة
وعزيزاً ومقدراً عند ربه وعند عموم المؤمنين رغم أنه لا يبغى في
الحقيقة سوى كسب رضى الله ومغفرته ويأمل الدخول في زمرة أحباء
الله. ولكنه يكسب أيضاً محبة المؤمنين لأن الله يسخر له الأسباب ويهبه
نوراً وجمالاً يدخل بها قلوب الناس ويفوز بمحبتهم.

الفهم الخاطئ للمحبة عند من لا يتمسكون بخلق القرآن وأدابه

الذين هم بعيدون عن الأدب والسلوك والأخلاق القرآنية تتضارب
لديهم مفاهيم ومعاني الحب وتختبئ سالكه سبيلاً غير قوية، مثله مثل
غيرها من مفاهيم الحياة. ذلك لأن علاقاتهم مبنية على أسس واهية سقيمة
مهما حاولوا إظهار عكس ذلك في أساليب وطرز معيشتهم، وادعائهم
الباطل بأيمانهم وتمسكونهم بالحب والاحترام في تعاملهم. في الفصول
القادمة توضح لمواصف هؤلاء البعيدين عن القرآن وال التربية الربانية
وما يعتمدونه من قيم ومقاييس باطلة.

العلاقة بين الرجل والمرأة المستندة إلى أسس الشرك بالله

تظهر كثيراً في العلاقة بين الرجل والمرأة مقاييس وبوادر تستند إلى

وَلَا يَعْبُدُونَ كُلَّ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَمْ يَتَكَبَّرُ بِهِ سُلْطَانًا
وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ
(الحج / ٧١)

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
(يوسف / ٣٨)

معاني الشرك "نعود بالله منه". فالبعض يظهر المحبة والميل إلى من هم مخلوقات وعباد لرب العالمين معتبرين من يتخذونهم أخلاط بمثابة الغاية ويرتبطون بهم إلى درجة العجز والتسليم، مرددين أو صافهم ومعظمهم أشخاصهم وتصرفاتهم محاولين دائماً كسب المزيد من رضاهم وحبهم وانتباهم. يفكرون بهم حل نهارهم ويشهرون الليلي في أرق وسهر مؤلم يقضونها في تذكيرهم ويحلمون بهم. وهم لا يتوانون من بذل كل ما يستطيعون من جهد وقت لكسب ودهم، ساهرين أو ناسين في كل هذا ذكر الله تعالى. بل ويفعلون حتى ما يخالف أوامر الله ونواهيه إذا ما تطلب ذلك، ولا يتزدرون في التضحية والفداء من أجلهم. هؤلاء في الواقع كأنما يتخذون بعضهم بعضاً "أرباباً". وهذا ما يتجلّى في أشعار الغزل وقصائد العشق والروايات الغرامية والكتابات الأدبية حيث تتردد كلمات مثل "العبادة" أو "المعبودة" في وصف هذه العلاقة. هذا النوع من الحب أساسه مفهوم الشرك بالله. أي قرآنية تشير بدقة إلى هذه الحقيقة التي تستند إلى مفاهيم جاهلية غير إيمانية تقترب من الشرك بالله، في حين أن

محبة الله أعلى مكانة وأوثق رابطة وأقوى أثراً من دونها:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَإِذَا كُرُوا اللَّهُ كَذَّكْرُكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذَكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَالق﴾ (البقرة / ٢٠٠)

محبة الله فوق كل شيء وكل شكل من أشكال الحب. وأية علاقة أو ارتباط أو مظاهر من مظاهر الحب يخرج حب الله من القلوب ليحل حب العبيد محله إنما هو شرك بالله تعالى بدون ريب أو شك. وهذا ما يدفع الإنسان إلى مصير بائس آخره عذاب جهنم وبئس المصير،

وهذه الحقيقة تغيب كثيراً عن أذهان الناس. لا شك أن حب إنسان لأخر وارتباطه بعلاقة حميمة وقيامه بالعطف والحماية والرعاية لأهله وأقاربه إنما هو شيء جميل ونبيل في حد ذاته. وكما سبق وأشارنا فإن حب الناس والإحساس بالقرب منهم والتآلف معهم إنما هو نعمة كبيرة من نعم الله على الإنسان. ومثل هذا الحب لا يأتي بالخير والسعادة للإنسان لا في حياته الدنيا ولا في آخرته إلا إذا كان في سبيل الله ولأجل إرضاءه. أما إذا كان الحب مبنياً على أساس من الشرك بالله، فلا يمكن إلا أن يأتي منه الخسران والندم والآلام. ويخبرنا الله في القرآن كيف أن المتحابين على أساس الشرك لا يتربدون من أن يغدووا ويضحيوا بمن يحبون للخلاص من نار جهنم:

﴿ يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْدُ الْمُجْرُمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ (المعارج / ١١-١٤)

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يُعْنِيهِ ﴾ (عبس / ٣٤-٣٧)

الصداقة المبنية على المصالح

بعض العلاقات والصداقات التي ظاهرها العطف والإخلاص، تعتمد في حقيقتها ولدى الشعور آلا إرادياً لدى الإنسان، على توقع المنافع والمصالح من الطرف الآخر رغم عدم وقوع القصد من ذلك. ويعبر بعض الناس أيضاً عن الحماسة والاندفاع الذي يشعر به تجاه من يتوقع أو يتضرر منه مصلحة أو غرضاً، بأنها من مظاهر الحب والألفة. غير إن

وَلَا تَشْتَرُوا لِيْلَةً مِّنْ اللَّهِ ثُمَّاً قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ الْحَيْثُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(النحل / ٩٥)



اعتماده لتأسيس علاقة أو زمالة صادقة. هذا الشعور بتحقيق الراحة لدى البعض يختلط ويتضارب مع مفاهيم المحبة النبيلة، فيتحول تأمين المصالح والمنافع إلى نوع من الحب. وآخرون يعتمدون مقاييس حمال الخلق والمظهر وحسن الهدام والقوام، معتبرين هذه المقاييس وسائل لتأمين نوع من المكانة والتقدير لهم. وبذلك تحل المواصفات والخصائص الفيزياوية لمقاييس الجسم وشكل الوجه والعينين والأنف محل أي اعتبار أو قيمة أخرى كالأخلاق الحميدة والنفس الطيبة والأريحية في التعامل وأمثالها من المعايير الإنسانية الرفيعة. وكأنما هذا الحب يردد عبارة " المقاييس الجمالية لهذا الإنسان تؤمن لي التقدير والاحترام" فإذا ذهب الجمال فليس للروح أدنى قيمة عنده. المهم عنده أن يكون الإنسان الذي أمامه جميل الهيئة وسيم المظهر ولا يهم إذا كان فضا قاسيا مستهزأاً بالناس فلا يرى منه مثل هذه العيوب والنواقص.

و من الناس من يهمه فقط تأمين مصالحه وجعل حياته في أمان وضمان. والكثيرون يفكرون ما سوف تكون عليه أوضاعهم الاقتصادية والمعاشية وضمان مستقبلهم عند المرض أو التحضير والإعداد لما سوف تأتي مع الشيخوخة من الوحدة والعزلة،

هذا الإحساس والشعور بعيد عن معنى ومقصد الحب وإنما هو نوع من الإعجاب بما يملكه من جاه أو يتصف بها من صفات. وفي حالات كثيرة يتغير ويتناسب هذا الإعجاب مع ما يملكه من مال أو ثروة، فتزيد مع زيادة ثروته وأمواله، لما تمتلكه الثروة من تأثير كبير على الناس. هذا الحمى والشعور ليس حبا وإنما هو وله وتعلق وهو إعجاب بمتاع الدنيا الزائل. ففي هذه الحالات ليس للأخلاق الإنسان الشري أي اعتبار أو تقدير أو وزن في ترسيخ أو تشكيل هذه العلاقة. ويكتفيه أن يكون ذا مال أو جاه أو سلطان ليكسب هذه المحبة حتى ولو كان أسوأ الناس خلقا وأغلاظهم وأقساهم طبعاً وأشدتهم ظلماً وأضعفهم فكراً وثقافة وعلماً وأبعدتهم عن الرحمة والحنان.

و هناك بعض الناس لهم مقاييس أخرى في فهم الحب والصداقة. فهم يريدون ويتوقعون من كسب صداقه من يبعث في نفوسهم السرور والبهجة أي الذي يضحك أكثر. فيردد شعار "ينبغي لمن يطلب صداقتي أن يكون قادرًا على اضحاكي أكثر...." وهذا النوع من العلاقة ليست ثابتة أو دائمة وإنما تعتمد على منافع محدودة. إذ ليست الرغبة في الضحك والمزاح أساساً يمكن

المتوقعة، أو عندما يصيب أحدهما مرض أو عجز يتحول إلى عباء لا يحتمل، وبالخاصة إذا ما أصاب مكروه أو حادث بصاحبه مما أدى إلى حصول ضرر أو تشوه ظاهري عليه، حينئذ تأتي النهاية السريعة لهذا الحب. كثيرة ما نقرأ أو نشاهد في وسائل الإعلام كيف ينتهي زواج ظاهره السعادة إلى فشل وافتراء بسبب مرض أو عاهة تصيب أحدهما أو في حالات أزمة مالية أو إفلاس. فكثيرة ما تنتهي زيجات إلى خصومة والافتراء إلى الأبد لسبب من هذه الأسباب، بعدها كان ظاهر الأمر حب وتفاهم.

إن المحبة الصادقة في الحقيقة تزداد قوة ومتانة بمرور الزمن. فحين يكون القياس والميزان الأخلاق والأدب الرفيع، نرى أن المحبة تزداد وتتوثق بين زوجين كلما تعمقت العلاقة وظهرت كوامن وجوهر خصالهما مع مرور الوقت. إن مثل هذا الحب لا يتأثر سلبيا بأي شكل من الأشكال عند حصول أي حالة طارئة غير متوقعة مثل العجز أو المرض أو لأسباب اقتصادية وربما يحصل العكس، إذ تسبب مثل هذه الحالات الطارئة إلى ظهور أوضاع جديدة من أشكال الرحمة والشفقة والتواضع والضمحية وبما تؤدي وبالتالي إلى زيادة متانة وقوة الرابطة والعلاقة بين الطرفين. وسبب هذه المظاهر هو الارتباط بمفاهيم أخلاق القرآن. فالخشية من الله تعالى والخوف من الوقع في المعاصي والسعى لكسب رضاه وعفوه والتسل بالوسائل الأخلاقية الواردة في القرآن هي أدوات فعالة ومؤثرة لإعطاء دفعه قوية للمحبة وتمتين روابطها ووسائلها. لذلك لا نرى أي انحراف أو زلل في تصرف المؤمن عند وقوع المحاذير التي أوردنا ذكرها، لا بل تترسخ وتعمق المحبة في قلبه.

أو ربما الوقوع في أوضاع صعبة يحتاجون فيها إلى العون والمساعدة من آخرين. وهم يعتقدون أن الزواج - مثلاً - يمكن أن يكون أفضل الوسائل لمحابيَّة هذه الأمور المقلقة، ولتأمين هذه الوسيلة، فهم يحاولون التمسك والتثبت بمن يعتقدونهم الأفضل لهم، ويكافحون ويجاهدون دون فقدانهم أو خسارتهم. هذا "الخوف من المستقبل الغامض" يتحول إلى ما يعتقد أنه الحب الحقيقي. ويبقى هذا الشعور يسيطر عليهم ويؤدي بهم إلى تحمل إلى تبعاته والصبر على نتائجه جميعاً. ولا يتوانى مثل هذا الإنسان من بث شكوكه والحديث عن آلامه وما يقايسه، ولكنه لا يتزدد من القول أنه يحب زوجه إذا ما سُئل، جاعلاً ما يتوقعه وينتظره من مصالح ومنافع غاية ما يصبو إليها من أهداف. في حين أن المحبة الحقيقية الصادقة المستندة إلى الأخلاق القرآنية ليس فيها توقع أي مصالح أو منافع. شخصية من كان نوعها، بل تكون متينة الأسس وقوية لأن الإنسان المحب يجد في المقابل له مظهاً من مظاهر الخالق المبدع. فلا يتكلم عنه إلا بالخير ولا يصفه إلا بالثناء عليه وكيل المدح ولا يشعر تجاهه بالحقد والضجر والضيق إذا ما وجد منه نقصاً أو تصرفاً خاطئاً، بل يبادله الحنان والشفقة والود، يستر عيوبه ويغضض الطرف عن صغار عيوبه ويكون سندًا له ودعماً وعوناً مظهاً له المحبة والصدقة بأجمل وأبهى شكل.

المحبة العابرة قصيرة الأمد

سرعان ما تنتهي المحبة غير المستندة إلى أخلاق القرآن. ويتتحول الحب الظاهري بين اثنين إلى ملل وضجر حينما لا تتحقق المصالح

الله يَسْتَطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

مَنْعِلٌ
﴿٢٧٦﴾

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَذْحُورًا

(الإسراء / ١٨)

لا يمكن معرفة الحب الصادق إلا بالعيش ضمن دائرة
الأخلاق والآداب التي يأمر بها الدين، فمعرفة الله تعالى بصدق ويقين
والسعى الدؤوب لكسب رضاه ومغفرته وبالتالي نيل محبته، ثم التحلي
بالأخلاق القرآنية هي الأسباب الرئيسية والفاعلة للوصول إلى المحبة المتبادلة.
إن الله يضع بذور المحبة في قلب المؤمن كما ويهمي له أسباب حب الناس له.
ذلك لأن الله مصدر الحب ومنبعه الوحيد. ولكي يتوصل الإنسان إلى الأخذ منه
وارتشاف طعم المحبة الصادقة عليه أن يدرك أن هذه النعمة العظمى لا تليق إلا
لمن بأصول الأخلاق القوية والاستقامة، وكذلك للذين يتuwسلون وي恃ضرون
لنيل هذا العطاء الرباني. أما من يبتعد عن القرآن وينغمض في أدران الجاهلية
والشرك فإنه محكوم عليه بفقدان السعادة في الدنيا والآخرة ويعيش منبوداً
بدون رفيق أو صاحب. لقد أيدت آيات القرآن أن المحبة الحقيقة
نعمـة من الله وفضل:

﴿ وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَّاهُ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم/ ١٣)

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ﴾



المجبة في أخلاق القرآن الكريم

الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم / ٩٦)
﴿ وَمَنْ آتَاهُ أَنْ حَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
(الروم / ٢١)

أما خصائص ومقومات من تليق به نعمة المحبة الصادقة فأليكم
بعضها منها:

أن تكون مضحيا

الذي لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يعتقدون أن الحياة مسرح للصراع
المرير والشرير. فالقوى يسحق من هو أضعف منه لكي يقاوم الفناء
ويستمر بالعيش. هذا الاعتقاد السقيم يؤدي بهؤلاء إلى نسيان مفاهيم
الأخلاق الإنسانية ويلحّون إلى اعتماد مفاهيم منحرفة مثل القاعدة
الخاطئة التي تقول وتدعوا إلى الحصول على منافع ومكاسب على حساب
الآخرين. وفي مجتمع تسود فيه هذه المفاهيم لا تتوقع أن نجد من يفكر
في مساعدة ومساعدة من يحتاج ذلك، أو الإيشار على النفس والتضحية
للغير عند الحاجة، أو السعي لإسعاد البشر ودفع الظلم والغبن عنهم.
وأمثال هؤلاء يعتقدون أن الأخلاق الفاضلة والأفكار الإنسانية ضعف ليس
لها موقع ومحل في دنياهم.

غالباً ما نجد تفشي هذه المعتقدات الضالة في المجتمعات التي
لا تعيش على مبادئ الدين والإيمان، ولذا لا نجد أي أثر لمشاعر الحب
الصادق والألفة المخلصة، لأن الإنسان يفكر في مصلحته الشخصية دون
غيره، وترسخ الأنانية في النفوس والتصرفات، فلا تدع مجالاً للحب

لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَرْزَوْا جَأْ مِنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ

(الحجر / ٨٨)

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(الحشر ٩)

و في هذه الآية تأكيد وثناء على مآثر أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين من مكة معاً. فحينما ترك أهل مكة من المؤمنين جميع ما يملكونه من مال وعقار وبساتين وأعمال وأهل وعشيرة، وبيوت وأثاث وكل متاع فراراً بدينهم وعقيدتهم مضحين بكل ما يملكون من حطام الدنيا مهاجرين فراراً بأرواحهم، هؤلاء إنما يبغون رضا الله ومحبته. وهذا شاهد على رفعة أخلاقهم وسمو نفوسهم وصفاء قلوبهم وسرائرهم. آمنوا بربهم ووكلوا إليه جميع أمورهم، غير خائفين أو وحشين من المستقبل، فكبسوا بذلك قلوب الآخرين وإعجابهم وتقديرهم. ويقابل أهل المدينة إخوانهم المهاجرين بكل حب وشوق وترحاب وقدموا لهم كل ما يستطيعون تقديمها، دون أن يتوقعوا منهم منفعة أو مصلحة، وأكرمواهم أحسن تكريماً فآووهم واستضافوهم وأثروهم على أنفسهم وأهليهم. هذا الإيثار إنما ينبع من الإيمان العميق بالله تعالى والحب الكبير الذي تكتنه قلوبهم لربهم وإخوانهم المؤمنين. وكما وهم كسبوا محبة وتقدير الناس وإلى يومنا هذا، فإن ربحهم الكبير وكسبهم الحقيقى إنما هو ذكر الله لهم وثناؤه عليهم وكيل المدح لهم. وال المسلمين لا يزالون يقرؤون هذه الآيات ومنذ ألف وأربعمائة عام ويشعرون بهذا الحب والعلاقة الأخوية

ويعيشون حلاوة الإيمان معهم. أي أخرى تذكرنا تضحيه المؤمنين:
﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُجَّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعَمُكُمْ لَوْجَهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا

والولد أن يجد مكانا في القلوب.

و هذه الأنانية بكل قسوتها إن سيطرت على كيان الإنسان فقد معها كل إحساس بالحب تجاه الناس. إن مجرد التفكير بالراحة الشخصية فقط والسعى لخلق حياة ناعمة وفارهة من طعام ومسكن وملبس لنفسه وحده، يجعل الإنسان يفقد حب الغير واحترامهم. هذه المشاعر يمكن ملاحظتها ومشاهدتها في المجتمعات الجاهلية حيث ترسخ في ضمائر أفرادها وشعورهم الداخلي نظرة غير حميدة إلى هذه الفئة من الناس. إن من يعيش ضمن دائرة أخلاق الجاهلية لا يتضرر من أقرب الناس إليه أن يبادر بأي فعل فيه تضحيه أو إيهار. ولا يلتجأ إلى طلب مساعدة العاملين معه. فإذا أراد - مثلا - أن يحل محله زميله في العمل حينما يحتاج إلىأخذ طفله إلى الطبيب ولو قت محدود فأنه يستبعد هذا الاحتمال من ذهنه تماما. وهنا تصبح بعض الأفكار والاعتبارات الإنسانية مثل مساعدة الوالدين مشكلة بين الأبناء وخلافاً ونزاعاً رغم ظهورهم أمام الناس بمظاهر من يعطف ويحنو على الوالدين. وهنا أيضا يتهرب الناس من إبداء أي عون أو مساعدة إذا لم تكن لهم فيها مصلحة أو منفعة مادية. أما الإنسان الذي في قلبه موضع للحب الحقيقي فإنه لا يتوانى عن الفداء والتضحية دون أن يجد أي ضيق أو حرج أو تكلف.

المحبة والتآلف بين المؤمنين تفرز التضحية والإيثار على النفس كأهم مميزاتها وخصائصها وعلاماتها. فنرى بينهم علاقات إنسانية توضع مصلحة الغير قبل مصلحة الفرد وبكل قبول رحب وسرور. ولنا في معاملة أهل المدينة من الأنصار الأسوة الحسنة والمثل الرائع حينما آثروا المجاهدين من مكة وتأخروا معهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾

لَئِنْ تَسْأَلُوا إِلَيْرَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
(آل عمران / ٩٢)

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ
الْغَيْظَ وَالْعَارِفِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ
(آل عمران / ١٣٤)

الوحيد بتحد وإصرار وصلف. وفي مقابل هذا الوضع تصوروا أن يقوم الشخص الثاني بتقديم الطعام إليكم ويدعوكم لتناوله أولاً ويلح عليكم أن تأخذوا المنام لوحدهم إزاء موقف هذين الشخصين ستشعرون ببرود وأسف انزعاج لموقف الأول وتصرفة بأنانية وهمجية، وبكل الود والحب والإعجاب وحتى الامتنان للثاني منهم، لما امتاز به من تضحية وإيثار على النفس والذوق الرفيع الذي بدر منه. ذلك لأن الله خلق الإنسان ووضع في قلبه حب الأخلاق الحميدة ومحبة الإنسانية.

أن تكون عفواً

يمتاز من يعيش حياة الجاهلية بسرعة الغضب والنفور من الآخرين والحدق عليهم لأسباب واهية أو لأقل ضرر يصيبه فيبادر إلى قطع العلاقة والدخول في نزاع وخلاف مع من كان يدعي أنه أقرب الناس إليه، وينسى فضل الصدقة والاخوة بكل بساطة.

يكمن السبب في هذا التصرف الأهوج في عدم التحلية بأخلاق القرآن وفراغ القلب من الرحمة ومن مفاهيم إنسانية مثل التضحية والمسامحة والعفو والصبر، وخلو طرز معيشتهم من هذه المبادئ السامة.

أما المؤمن فهو صبور يحب العفو ولا يتصرف أمام الأخطاء والزلات الصغيرة والتقصير الإنساني بشدة وقسوة تصل حد قطع الروابط الأخوية، فهو دائماً يعطي فرصة أخرى، يذكر وينصح ويعاون على تلافي التصرفات غير الصائبة. يبادر إلى كشف عورات وأخطاء أخيه المؤمن بل يستره ويرشده إلى مواطن الخطأ بحكمة وروية ويدركه بحكم القرآن ويكون معه من الناصحين. فالفهم الصحيح والنظرية المتفائلة والسامحة تحكم الروابط التي تقوم على الحب الحقيقي، لأن جميع المسائل والمشاكل إنما تصل إلى حلول صحيحة في جو التفاهم والهدوء والسكينة. وينصح

عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿الإِنْسَان / ٨-١٠﴾

إن من يقدم طعامه – رغم حاجته إليه – إلى المساكين والفقراء يكسب حب وتقدير وإعجاب الناس في كل زمان. لنوضح هذا الموقف الإنساني بمثال ونقول: تصورا حالكم وأنتم في حالة شديدة من التعب والإرهاق والجوع والإعياء ومعكم شخصان آخران. أمامكم من الطعام والمنام ما يكفي شخصا واحدا لا غير. فيقوم أحد الشخصين ويبادر إلى تناول الطعام.

دون أن يسأل إن كتم بحاجة إليه، ثم يحتل المنام



والبساطة والإخلاص من أهم شروط تتحققها. ذلك لأن المحروم من التواضع يجد نفسه أفضل من غيره وأعلى مكانة منهم ولا يعطي أي اعتبار أو تقدير إلا لنفسه ويرى غيره أدنى مكانة وأقل قيمة منه. فهو يعتبر نفسه أذكى الناس وأكثراهم علماً ودراءة واحتراماً، وبعبارة أخرى يحاول "تأليه" نفسه. إن مثل هذا الإنسان الذي يعظم نفسه ويحقر الآخرين ويستصغرهم لا يمكن أن يتظر منه صدور تصرفات تدل على الوفاء أو التضحية أو إيثار الغير على نفسه، ويستحيل أن تدخل المحبة إلى قلبه. فالتكبر والحب مفهومان متضادان ومتناقضان، فكما إن من يحمل في قلبه الغرور لا يمكنه من الشعور بحب الآخرين، فإنه لن يجد من يحبه بصدق.

أسباب كثيرة تجعل الإنسان المتكبر والمغرور يعيش حياة خالية تماماً من الحب والعطف، لأنهم يتحلون ببعض الصفات السيئة نتيجة إعجابهم بأنفسهم مثل السخرية والاستهزاء بالآخرين. وهم عندما يفضحون قصور وعيوب الآخرين يعتبرون ذلك وسيلة لإعلاء مواقفهم وإبراز أنفسهم بشكل أفضل.

وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّيْعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفُحُوا أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ (النور / ٢٢)
فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّي شَاقُهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلْمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مَّا ذَكَرُوا بِهِ وَلَا تَرَأَلُ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةِ
مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
(المائدة / ١٣)

ليس للغفو والصفح حدود محدودة لدى من يؤمن بأحكام القرآن
هذا ما نراه في الآية السابقة التي توحى إلى المؤمنين أن يغفوا حتى من
يسئ إليهم إلى حد الخيانة. ومن يتحلى بهذه الخصال لا يتزدد عن العفو
حتى إذا ما واجه من آثره أفح الأضرار، وهو بهذا التصرف الحكيم
يعطي مثلاً حيداً ونموجاً صالحاً لمن يحاول طعنـه من الخلف ويسببـ
له الضرر، ربما يصل به الحال إلى كسبـه كصديق. والمؤمن يشعرـ براحةـ
وأنـ شراحـ نفسيـ كذلكـ عندما يجدـ العـفوـ والـمسـامـحةـ مـمـنـ أـخـطـاـ بـحـقـهـ،ـ
ويزيدـ إيمـانـاـ،ـ وـحـبـاـ وـتـعـلـقاـ بـهـ.ـ ويـذـكـرـ اللـهـ تـعـالـىـ أـنـ العـفوـ مـنـ مـتـطلـبـاتـ
وـمـسـبـبـاتـ الـمـحـبـةـ الصـادـقـةـ:

وَلَا تَسْنُو الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
يُبَيِّنُكَ وَيُبَيِّنُهُ عَدَاؤُهُ كَأَنَّهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ ﴿فَصَلَتْ / ٣٤﴾

أَنْ تَكُونَ مُتَوَاضِعًا

لكي تتحقق علاقة صحيحة وارتباط متين ومحبة أصيلة لابد أن ترفع العقبات والعرقيل أولاً، مثل الأنانية والرياء والمصلحة الخاصة. فكما أن الغرور والتكبر من أكبر معوقات تطور المحبة وتقويتها فإن التواضع

ومن يملك مثل هذه الصفات والخصال السيئة المنفورة لا يمكنه أن يجد من يكن له الود والمحبة.

الإنسان المتواضع مقدر ومحبوب من الآخرين. الجميع يشعر نحوه بالألفة لتعامله معهم بشكل يشعرهم بمكانتهم وإنسانيتهم، فهو يستمع إلى من ينصحه ولا يحسب أنه يعلم كل شيء أو أنه يعمل أحسن من الآخرين. لا يعاند أمام الصحيح، أو يصخب أمام التعامل الخاطئ. ينظر بعين العطف ويفكر نحوهم بعقل واع. وأنه لا يشعر بتعال أو نظرة فوقية فلا يخطر بباله أو تبادر إلى لسانه عبارات مثل "ليبادر غيري بإظهار حبه نحوي أولاً". أو "فليكلمني هو أولاً ويحييني...!" وهي عبارات تحمل معاني الغرور والغطرسة، وهو ينظر بكل بساطة وتواضع حتى مع من يجد فيه القسوة والغلظة والفتاظة. يحترم ويقر آراء الآخرين، ويحث على التحية بأحسن منها، يعامل الجميع بكل حب وكرم. وخلاصة القول تتمثل فيه كل ما تفرضه أخلاق القرآن من تواضع وتسامح. نير الفكر واسع الأفق، يألف ويؤلف، سهل التعامل ولين العريكة، يؤثر على المقابل ويحترم الجميع ويوقرهم. وهذه كلها تدفعهم إلى تبوء مكانته قرية من القلوب والآنفوس. يقول تعالى في هذه الخصال الحميدة:

﴿ وَعَبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان / ٦٣)

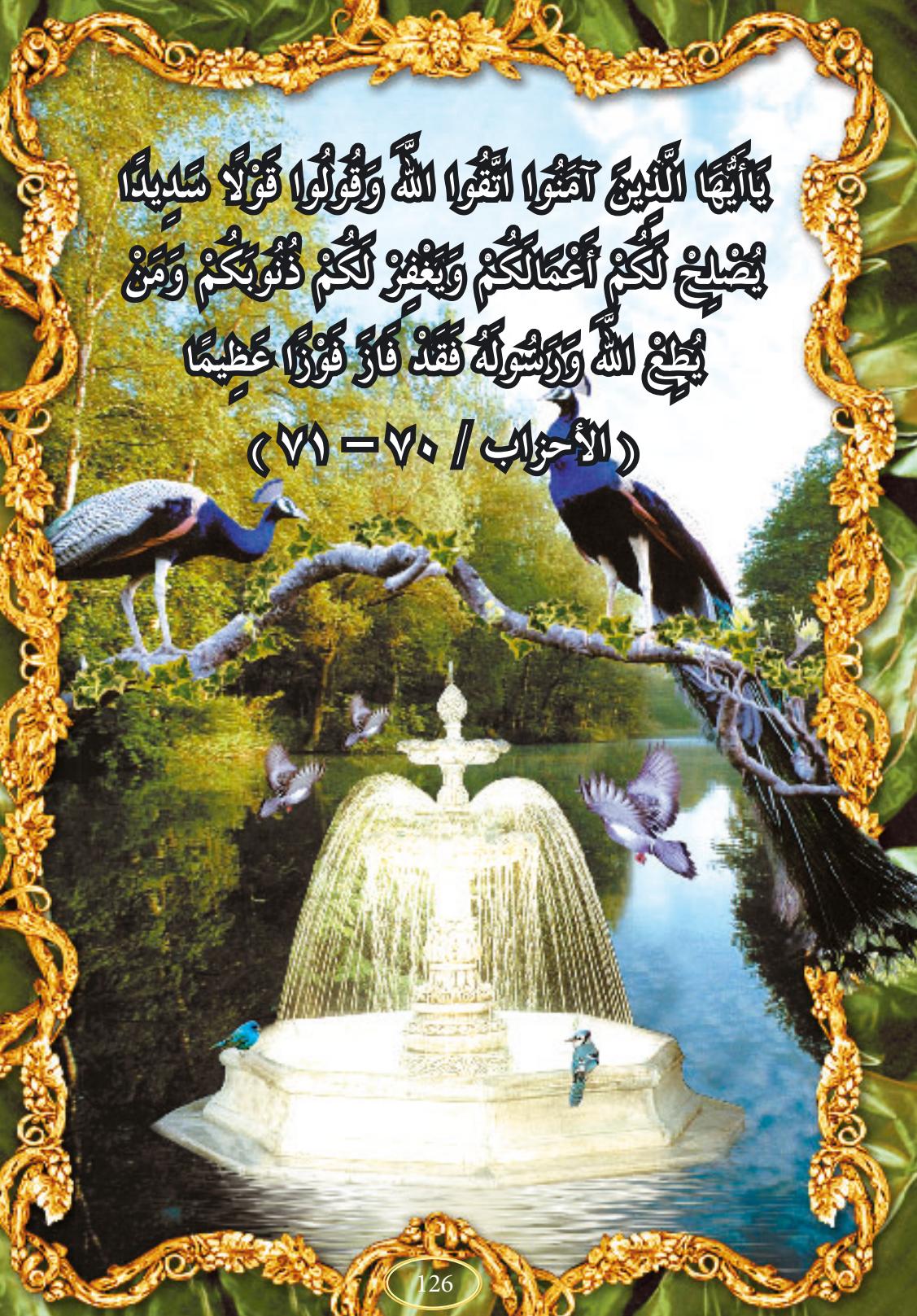
و يشير الله عباده المتواضعين في أي أخرى بالنعيم والجنة:

﴿ وَلَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كَا لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرُ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (الحج / ٣٤)

و في سورة آل عمران يذكر الله تجمع المسامين حول الرسول

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ الْكِتَابَ وَقُرْنَاهُ أَفَلَا يَتَذَكَّرُ
بِهِسَابِحِ الْكِتَمْ وَيَسِيرُ لَكُمْ ذِرَّةً بَعْدَكُمْ وَمَنْ
يُنْهِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَارَ فَوْزًا عَظِيمًا

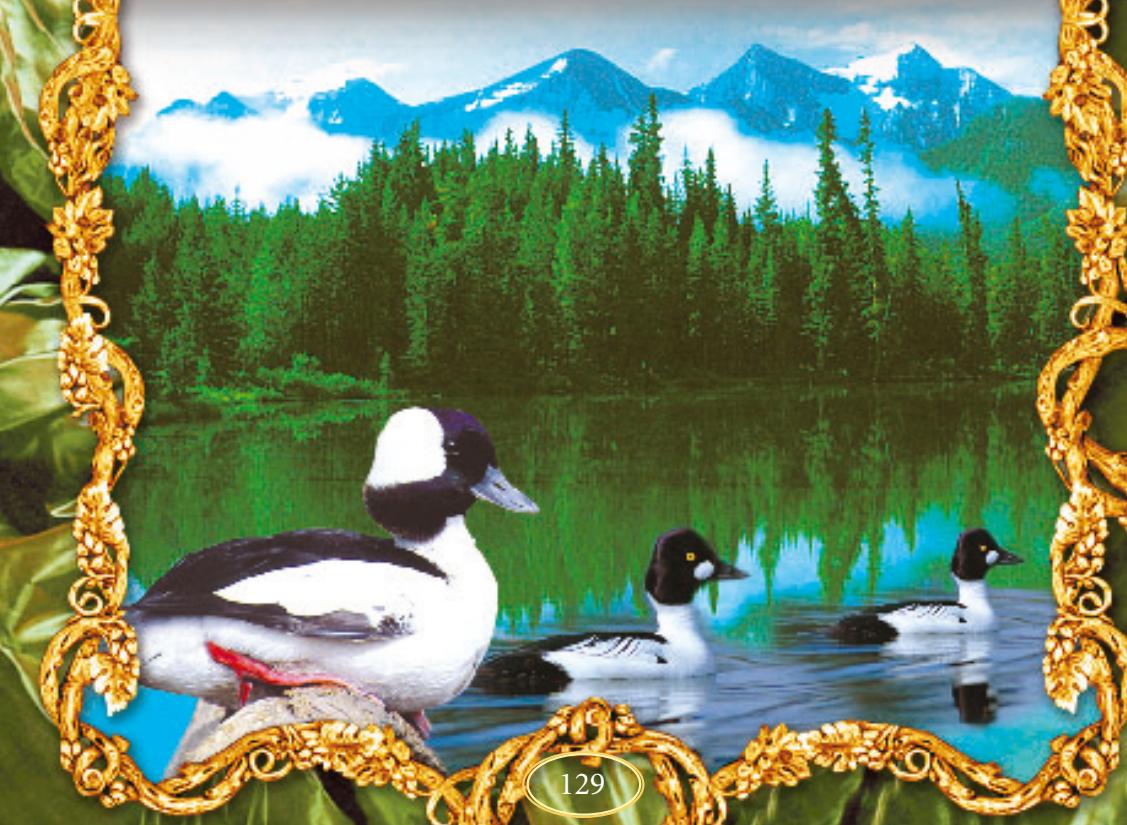
(الآحزاب / ٧١ - ٧٥)



ينتظر منه صدور ما يضر بالآخرين أو يسبب لهم الأذى.

هذا الفضائل من الصفات والشيم، تدفع بالروح الإنسانية إلى فسحة المحبة. لأن النفوس الطيبة تتجادب وتتألف مع الصدق والاستقامة. وقد أكَدَ سيدنا الرسول (ص) في أحاديثه ونصائحه إلى المسلمين على نشر المحبة والاخوة بينهم، مبيناً أهمية خلق جو من الاعتماد والثقة لتعزيز هذا الحب وتأمين استمراره. عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله (ص)

"..... والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَؤْمِنُوا
وَلَنْ تَؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّو أَلَا إِنَّبُوكُمْ بِمَا يَشْتَهِي ذَلِكَ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ
بَيْنَكُمْ." ١٣



وتَالْفَهْم بِسَبَب لِينِ عَرِيكَتَه وَلَطْفَه وَجَمِيلِ رَحْمَتِه وَشَفَقَتَه بِهِمْ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنْ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيظَ الْقُلُوب لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَارَوْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران)

(١٥٩)

الاستقامة

إن من لا يخسون الله ولا يتقونه حق تقاته أسرع الناس إلى الكذب، هذه العادة السيئة من العراقيل البارزة أمام تحقق المحبة والتالفة وازدهارها. ولا يمكن إصلاح ضررها إلا إذا بادر هذا الفرد إلى الاعتذار والاعتراف بخطئه وتقصيره وعاهد على إصلاحه وعدم اللجوء إليه أو تكراره. ومن المعروف أن من يعتمد الكذب باستمرار لا يوثق به ولا ينظر إليه باطمئنان ولا يعرف صدقه من كذبه وتحتلط الأمور معه. وليس لمثل هذا الإنسان حظ أو فرصة لكسب حب ورضا الآخرين. أما المؤمن فإنه لا يتنازل إلى درك اللجوء إلى الكذب حتى ولو كان وراء ذلك خسارته وأذاه مادياً ومعنوياً. فالمؤمن مصدر ثقة واطمئنان واستقامة وصدق. لا يخفي الحقائق ولا يغير من طبيعة الأشياء. ليؤمن لنفسه كسباً أو منفعة. لا يعطي وعداً أو يقطع عهداً لا يقدر على الإيفاء به. والذي يعيش ويحيى على حدود الأخلاق الإسلامية يكون أبعد ما يكون عن الكذب مهما كبر أو صغر. يتحاشى اللجوء إلى تغيير الحقائق لأجل تأمين مصلحة أو حتى دفع ضرر وأذى عنه ولا يتظاهر بمظاهر كاذب خادع. كما لا يمكن أن

إلى الوقوع في الخطأ والزلل.

إن عدم نسيان هذه الحقيقة والواقع، من شرائط العيش ضمن دائرة المحبة والصداقة. إن الذي يحب يصبر على الأذى والأخطاء الصادرة من غيره، ولا يضخم زلاته أو يبحث عن كشف أخطائه بل يعاون في تلافيها. المحبة والتآلف يستوجبان الصبر والتحمل ونكران الذات. كما وأن الصبر أمام الأخطاء يزيد من قووية أواصر المحبة وتنميتها وازدهارها. والمؤمنون ينظرون إلى غيرهم بهذه النظرة من التسامح والصفح والعفو، ولا عجب فإن الثقة والاطمئنان من شمائل المسلمين.

إن المسلم عندما يبذل ويجاهد لاكتساب المزيد من أخلاق القرآن وتعاليمه فإنه إلى جانب فوزه بمحبة أخيه المسلم لتواضعه معه وتعامله بشفافية تعتمد الثقة والتسامح، يكون قد وصل إلى درجة من الأخلاق السامية لما يتمتع به من صبر على الأذى والعفو عن زلات المؤمنين. ويأمرنا رسولنا الكريم (ص) بالستر وعدم فضح أخطاء الآخرين وإبداء العون إلى المؤمن لتلافي الوقوع في شباك الخطأ والزلل:

" من ستر عيب مسلم، ستره الله يوم القيمة ومن أغان مسلما على مصيبة أعانه الله يوم القيمة ومن قضى حاجة أخيه قضى الله حاجته ". ١٤

و يختلف مفهوم الصبر عند المؤمنين مع ما تعانيه هذه الكلمة من مفهوم في المجتمعات الجاهلية. ففي الأخيرة يبدي الشخص تحمله وصبرا إذا ما توقع مصلحة أو فائدة أو يتوقى أذى يتوقع أن يصيبه أو سوء معاملة ونظرة غير مستحبة تجاهه من المجتمع. ولقاء هذا التحمل والصبر فإنه يتباهى ويشاكس ويعلن نفسه صاحب حق وكأن لسان حاله يقول

" إن من حقي أن أفعل ما أشاء لقاء صبري وتحملني هذه المصاعب "

أن تكون صابرا

ورد في القرآن الكريم

﴿ وَإِنْ أُمَّةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلَهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشَّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَقْوُا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا ﴾ (النساء ١٢٨)

هذه الآية تلمح إلى وجود بعض أamarات السوء في النفس الإنسانية.

أما تصفية وتنقية النفوس من هذه الإamarات السيئة فواجب ومطلوب من المؤمنين، فبدون تطهير قلبه وتصفيته وتنقية روحه من الاردان لا يكون مستحقاً لدخول جناته التي تنزه عن مثل هذه الخبائث. ورغم ذلك فإنّ الإنسان معرض بشكل دائم وطوال حياته وحتى إلى آخر لحظات عمره،

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كُلُّ دُّنْدُرٍ وَإِنَّمِنَ اللَّهِ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُمْ مِنْ كَهْيَمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَّاَحَدٌ
فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشَّرَ الْمُخْبِتِينَ

(الحج / ٣٤)

فالإنسان غير المتحلي بأخلاق القرآن لا يتوانى عن إظهار الضجر والملل والشكوى والتأفف من جراء معاونة صديقه المريض - مثلاً. ويكثر من ألفاظ وأقوال تدل على إظهاره مدى تعبه وإرهاقه من جراء سهر الليالي ويتحمل ما لا يستطيع تحمله أحد غيره، ويبالغ في إظهار تعبه وإرهاقه وانزعاجه، ويكرر ذكره فضله الكبير على صديقه المريض.

أما المؤمن الصبور فإنه يلبي طلبات وحاجات من يكن له المحبة والصدقة ويبدل ما يستطيع من عون ومساعدة بكل شوق ورغبة صادقة وإخلاص وبشكل مريح وجميل لا يشعر بأي بادرة لفضل أو منه. ولهذا فإن الصبر من أجمل ما وصفه الله تعالى من فضائل الأخلاق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ عَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران / ٢٠٠)

أن يكون صادقاً

من عوامل الشعور بالحب والألفة تجاه أي فرد، يأتي الصدق أولاً. يخبرنا الله تعالى أن المؤمنين يكافعون بسبب صدقهم. وهذا الخلق الجميل الذي يمتدحه الله في قرآنٍ يدفع المؤمنين إلى التمسك والالتزام به بقوة. وهذا أيضاً من صفات

ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ

(البلد / ١٧)

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿الحجّات١٥﴾

أن تكون رحيمًا

الرحمة جزء وشوق للمحبة. لا بد أن نعرف عن معاني الرحمة الشيء الكثير لكي ندرك معنى المحبة بشكل صحيح وعميق. وخير مثال لهذا ما امتاز به نبينا (ص) من صفات الرحمة، وهو بذلك خير قدوة لجميع المسلمين وفي كل الأوقات والأزمنة. يقول الله تعالى عن ذلك: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبه/١٢٨)**

و من يتصف بالرحمة لا يمكنه أن يقبل أو يصبر أو يسكت على آلام الناس من حوله، بل يعطيهم الاهتمام اللازم ويحرص على مصالحهم وراحتهم بنفس الاهتمام الذي يعطيه لنفسه وربما أكثر من ذلك. ومن يحمل بذور الرحمة في قلبه يهتم بأمور الناس ويشاركتهم بقدر ما يقدر على حل مشاكلهم ورفع التبعات عن كواهيلهم. ويخبرنا رسولنا (ص) أن المؤمنين يحملون في قلوبهم الرحمة تجاه جميع البشر وكافة المخلوقات حيث يقول (ص) :

(" لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا " قالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا

المؤمنين كما تؤيدتها الآية الكريمة:

إن المؤمن لا يتنازل في أحلك الظروف وأصعبها عما تفرضه صفة الصدق تجاه ربه وتجاه عموم المؤمنين. ويعطينا ربنا مثلاً من شباب المؤمنين من قوم

ـموسى(ع)ـ لما امتازوا به من التمسك بهذا الخلق الكريم:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى حَوْفِ مِنْ فَرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتَنُهُمْ وَإِنَّ فَرْعَوْنَ لَعَالٌ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِي إِنْ كُنْتُمْ آمِنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾

(يونس/٨٣-٨٤)

لقد عاش الأنبياء الكرام عليهم السلام والمؤمنون بهم تحت ظروف صعبة من التهديد بالقتل وسلب الأموال والماراكز منهم والافتراء عليهم واتهامهم بمختلف الأوصاف والتهم الباطلة. ورغم كل هذا بقي المؤمنون متحدين ومتراصين متساندين بسبب محبتهم لله ربهم وخشيتهم منه وحده ولا أحداً غيره، متباذلين بذلك جميع المحن والصعاب، غير خائفين ولا وجلين. هذا الارتباط الصادق بربهم دفعهم إلى هذا التمسك والتعاضد وكان سبباً ودافعاً للشعور بالحب والعلاقة المتينة، وبوتائر عالية من الشوق والاندفاع الشديد. ويخبرنا الله في القرآن عن وصفه المؤمنين هذه الآية:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا

يتناصرون ويتذاكرون فيما بينهم ويدعو بعضهم بعضاً للتحلي بالأخلاق القرآنية لترك كل ما هو قبيح ومكره و فعل كل ما هو جميل وحسن من الأعمال دون إضاعة للوقت وللفرصة. وهم يفعلون ذلك باندفاع وشوق وإظهار عظيم محبتهم وارتباطهم الأخوي الوثيق. ويصفهم القرآن الكريم

مادحاً لهم ومشياً عليهم لعملهم في سبيل تأمين آخر تهم:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفَ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطْعِيْعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّرَ حَمْمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة)

(٧١)

في المحبة الصادقة، يؤثر الطرف الآخر على النفس

يعتبر الإنسان راحته من أهم المواضيع التي تشغله في حياته.

رحيم. قال " إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة الناس،
رحمة العامة".^{١٥}

لإنسان يفكر بآخرة من يحب

الحياة الحقيقة للإنسان تبدأ حين وفاته وفراقه الحياة الدنيا وانتقاله إلى الحياة الآخرة. والدنيا هي دار مؤقتة يبقى فيها للامتحان والاختبار. والمؤمنون الذين يشعرون بهذه الحقيقة يعدون ويتهيئون للحياة الأخرى الأبدية الباقية ويظهرون ما بينهم من آيات الحب والرحمة والرأفة فكما هم يحبون كسب رضا الله ورحمته ونيل نعيم الجنة، فإنهم يبدون نفس الرغبة لإخوانهم المؤمنين. وهم أيضاً يسعون ويجهدون ويتساندون إلى دفع بعضهم البعض لمزيد من الأعمال الصالحة وكسب رضا الله، يدفعهم يقينهم بعذاب الله وعذاب النار والخلود فيها إلى أبد الآبدية. فترأه

ولكن الأمر يعكس في حالة الحب. إذ يكون الطرف الآخر هو الذي يفوز ويحتل الموقع الأفضل على الذات، وينال الرعاية والجهود. وعلى سبيل المثال، إذا قام شخص بإنجاز عمل مشاركة مع من يحب من أصحابه، فإنه يفضل على نفسه ويقدمه لنيل الثناء والمديح والجوائز، بل ويحس بالغبطة إذا ما شاهده في موقع - والمقام الأول. وإذا كان العمل المطلوب إنجازه يحتاج إلى قوة بدنية وجهد وتعب فإنه يتطلع للقيام بذلك قبل صاحبه. ومن المؤكد أنه لن يظهر أي بوادر أو مظاهر من شأنه - أو تجريح أو تحقيير من يحب. كل هذا لسبب وجيه في حالة كون الإيمان هو المحور الذي تدور حوله العلاقة، ألا وهو الغاية والهدف النبيل المتواخي، رضا الله ومحبته ونعمته الموعود. ولا شك لن يعلو أي هدف أو غاية على نيل رضا الله كبديل لهذه التضحيه والإيثار.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادُهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةُ
فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدُهُ فِيهَا
حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(الشورى / ٢٣)

أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ

(المؤمنون / ٦١)

وَالسَّابِقُونَ
أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ

(الواقة / ١٠-١١)

إن ما دفعنا لكتابه هذا المؤلف في موضوع المحبة والحب في الله، هو اهتمامنا الذي ترکز في إعطاء ما يستحقه لما يشكله من اسس وقواعد أخلاق أهل الجنة. وينبغي لمن يرغب ويهدف إلى الفوز برضاء الله تعالى وكسب محبته ورحمته ودخول جناته خالدا فيها مع الصديقين والأنبياء والشهداء والصالحين أن يتعلم كيف يسلك طريق المحبة وكيف يحب، وماذا عليه فعله ليكسب محبة الغير. وهذا لأن من صفات أهل الجنة المخلدون فيها، حبهم بعضهم بعضا وتألفهم في إخاء وصداقة أبدية.

التعلق بالله هو السبيل والوسيلة إلى دخول جنات النعيمو البقاء فيها خالدا في عيشة راضية. ففيه أيضا الفوز برضاء الله والدخول في زمرة أحبائه ومحبيه الذين وصفهم القرآن بأنهم : المتقون

– (التوبه/٤)، المطهرون – (التوبه – ١٠٨) المقطيون

– (الحجرات/٩)، المحسنون – (البقرة/١٩٥)،

التابيون – (البقرة/٢٢٢)، الصابرون

– (آل عمران/١٤٦)،



الخاتمة



والموكلون - (آل عمران/١٥٩).

و خير مثال لفهمنا وإدراكنا أهمية ومعنى الحب، ما ورد في دعاء رسولنا الراكم (ص)، روی عنه أنه قال في إحدى أدعيته:

"اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك إلى من الماء البارد." ^{١٦}

الله وَلِيُّ الدِّينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلَيَاوْهُمُ الطَّاغُوتُ
يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ

البقرة / ٢٥٧

لقد ظهرت النظرية الداروينية، يعني نظرية التطور بمدف رفض فكرة الخلق، بيد أنها لم تنجح في ذلك، وأعتبرت مجرد سفسطة خارجة عن نطاق العلم. وهذه النظرية تدعي أن الكائنات الحية تولدت بطريق المصادفة من الكائنات غير الحية، وقد تم ردها ونقضها بعد أن أثبت العلم أن الكون والكائنات الحية تحتوي على أنظمة غاية في الإعجاز. وعلى هذا النحو أثبت العلم كذلك أن الله تعالى هو خالق الكون وخالق جميع الكائنات الحية.

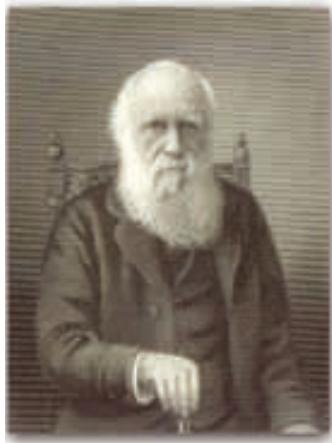
وهذه النظرية لا تقوم سوى على مناقضة الحقائق العلمية والأكاذيب التي ترتدى لباس العلم وحملة من التزييفات، وقد تم القيام بحملة واسعة على نطاق العالم لكي تبقى هذه النظرية قائمة على أقدامها، غير أن هذه الحملة لم تتمكن من إخفاء الحقيقة.

لقد تUALت الأصوات خلال الثلاثين سنة الماضية في دنيا العلم تبين بأن نظرية التطور تمثل أكبر خديعة في تاريخ العلم. وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت بشكل خاص اعتباراً من عام ١٩٨٠ بأن الإدعاءات الداروينية عارية تماماً من الصحة، وقد تم التصرير بذلك من قبل العديد من كبار رجال العلم. ففي



الأخيار الداروبيّة

ما تمناه الرجل.



وتظهر هزيمة داروين أمام العلم الحديث من خلال ثلاث نقاط رئيسية:
١- لم تتمكن هذه النظرية بأي وسيلة من الوسائل أن تفسر كيف نشأت الحياة على وجه الأرض.
٢- لا يوجد أي اكتشاف علمي يدل على قدرة "التقنيات التطورية" التي تفترضها النظرية على التطور في أي حال من الأحوال.

٣- ما يثبته السجل الإحاثي هو عكس الادعاءات التي تقوم عليها نظرية التطور.

ستناقش في هذا الفصل هذه النقاط الثلاث الرئيسية:

العقبة الأولى التي لم تذلل: أصل الحياة

تقول نظرية التطور أن جميع الكائنات الحية قد تطورت عن خلية وحيدة ظهرت على سطح الأرض البدائية منذ ٣,٨ مليون سنة. ولكن كيف يمكن لخلية وحيدة أن ينشأ عنها الملايين من الأنظمة والأنواع الحية؟ وإذا كان هذا التطور قد حدث فعلاً فلماذا لم تظهر علاماته في السجلات الإحاثية ، هذا سؤال لم تتمكن النظرية الإجابة عليه. إلا أن السؤال الأول الذي يبقى يواجه هذه النظرية، التي لم تجد جواباً عليه حتى الآن، هو كيف نشأت "الخلية الأولى".

تفسر نظرية التطور، التي لا تعترف بالخلق ولا تقبل بوجود خالق،

الولايات المتحدة بشكل خاص، صرَّحُ الكثيرُ من علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية وعلم الحفريات وغيرها من العلوم الأخرى بأن الداروينية وصلت إلى طريق مسدود وأنّ أصل الكائنات الحية هو الخلق. واليوم تؤكّد التطورات العلمية بأن الكون وجُمِيع الكائنات الحية قد خُلِقَت من قبل الله تعالى.

لقد تناولنا مسألة اختيار نظرية التطور ودلائل الخلق في موضع كثيرة من أعمالنا، وسوف نواصل ذلك في أعمال أخرى. ولكن بالنظر إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع رأينا أنه من الفائدة إيراد ملخص لذلك في هذا الموضع أيضا.

الاهيارات العلمي للنظرية الداروينية

بالرغم من أن هذه النظرية تعود في جذورها إلى التاريخ الإغريقي القديم، إلا أنها شهدت أوسع انتشار لها في القرن التاسع عشر. كان أهم تطور شهدته النظرية هو صدور كتاب تشارلز داروين "أصل الأنواع" الذي صدر عام ١٨٥٩. في هذا الكتاب ينكر داروين أن الأنواع المختلفة على الأرض قد خلقها الله. يقول داروين أن جميع الكائنات الحية لها جد مشترك وأنما قد تنوّعت واحتّلت بسبب اختلافات طارئة متدرجة أتت عليها عبر الأزمان.

وكما يقر داروين نفسه، فإن نظريته لا تقوم على أي حقيقة علمية ثابتة، بل إنها مجرد "افتراض". علاوة على ذلك، يعترف داروين في فصل مطول من كتاب بعنوان "المصاعب التي تواجهها النظرية" أن النظرية تتهاوى أمام العديد من الأسئلة الحرجية.

عقد داروين آماله على الاكتشافات العلمية التي كان يظن أنها ستزيل العقبات التي تواجهها نظريته، إلا أن ما أثبتته هذه الاكتشافات جاء عكس

عن انتصاراته في السوربون عام ١٨٦٤:

"لا يمكن أن تستفيق نظرية النشوء التلقائي من الضربة الصاعقة التي أصابتها هنا هذه التجربة البسيطة." ١٧

قاوم المدافعون عن النظرية الداروينية اكتشافات باستور لوقت طويل. إلا أن ماجاء به باستور بالإضافة إلى ما كشف عنه التقدم العلمي من البنية المعقّدة لخلية المادة الحية، أبقيا فكرة وجود الحياة على سطح الأرض عن طريق الصدفة في مأزق لم تستطع الخروج منه.

المحاولات العاجزة في القرن العشرين

إن أول من تبني موضوع منشأ الحياة في القرن العشرين كان التطوري المشهور ألكسندر أوبارين. تقدم هذا العالم بالعديد من الآراء العلمية في الثلاثينيات من ذلك القرن، حاول من خلالها إثبات إمكانية تطور خلية الكائن الحي عن طريق الصدفة. إلا أن دراساته لم تنته إلا بالفشل، مما حدا بأوبرين تقديم الاعتراف التالي: "للأسف، بقيت مشكلة منشأ الخلية الأولى أكثر النقاط غموضاً في دراسة تطور الأنظمة الحية". ١٨.

حمل التطوريون بعد أوبارين مسؤولية حل مشكلة منشأ الحياة. وكان أكثر هذه التجارب شهرة تلك التي قام بها الكيميائي الأمريكي ستانلي ميلлер عام ١٩٥٣. قام هذا العالم بدمج عدد من الغازات التي يفترض أنها كانت موجودة في المناخ البدائي للأرض، وأضاف إليها مقدار من الطاقة. من خلال هذه التجربة تمكّن ميلлер من تركيب عدد من الحموض الأمينية (الجزيئات العضوية) التي تتوارد في تركيب البروتينات.

إلا أنه لم تمض عدة سنوات حتى ثبت بطلان هذه النظرية، التي كانت تعتبر خطوة رائدة في تقدم نظرية التطور، فالمناخ الذي استخدم في هذه

نشوء الخلية الأولى على أنها أتت عن طريق الصدفة التي تتضمنها قوانين الطبيعة. حسب هذه النظرية تكون المادة الحية قد نشأت من مادة غير حية نتيجة للعديد من المصادفات، ومن المؤكد أن هذا الزعم لا يتوافق مع أبسط قواعد علم الأحياء.

الحياة تنشأ من الحياة

في هذا الكتاب، لم يتطرق داروين إلى أصل الحياة. فقد كان الفهم البدائي لحقيقة الحياة في عصره يعتمد على الإفتراض بأن الكائنات الحية ذات بنيات بسيطة جداً. لقد لاقت نظرية النشوء التلقائي التي انتشرت في القرون الوسطى، والتي تقول أن المواد غير الحية تجتمع من تلقاء نفسها لتشكل كائن حي، رواجاً واسعاً في ذلك الزمن. من الاعتقادات التي نتجت عن هذه النتيجة هي أن الحشرات تنشأ عن بقايا الطعام، وأن الجرذان تأتي من القمح. هنا يجدر بنا أن نتعرض لتجربة مضحكه قام بها البعض، حيث تم وضع بعض القمح على قطعة وسخة من القماش، وكان المتظر أن يخرج جرذاً بعد برهة من الزمن.

ومن المنطقي ذاته كان يعتقد أن الديدان تخرج من اللحم؛ إلا أنه لم يثبت العلم أن أثبت أن الديدان لا تخرج من اللحم بشكل تلقائي، وإنما يحملها الذباب بشكل يرقانات لا ترى بالعين المجردة.

كان هذا الاعتقاد سائداً في الزمن الذي كتب فيه داروين كتاب "أصل الأنواع" ، فقد كان يعتقد بأن البكتيريا جاءت إلى الوجود من مادة غير حية وكان هذا الاعتقاد مقبوا علمياً.

لم يطل الوقت حتى أعلن باستور نتائج دراساته الطويلة وأبحاثه الكثيرة التي تدحض أساس نظرية داروين. قال باستور في محاضرته التي أعلن فيها

مكونة من ٩٠٠ مجلداً من الموسوعات كلا منها يتألف من ٥٠٠ صفحة. وهنا تنشأ مشكلة أخرى مثيرة: فجزيء الـ DNA لا يمكنه أن يتضاعف إلا بمساعدة بعض البروتينات المختصة (الأنزيمات)، وهذه الأنزيمات لا يمكن أن تتشكل بدورها إلا من خلال المعلومات المشفرة في جزيء الـ DNA. وبما أن كل منها يعتمد على الآخر ، فمن الضروري أن يتواجدا في الوقت نفسه عند عملية التضاعف. وهذا يأتي بالنظرية القائلة أن الحياة قد نشأت من تلقاء نفسها إلى طريق مسدود. وقد اعترف البروفسور ليسللي أورجيل ، وهو تطوري مشهور من جامعة سانت ياغو كاليفورنيا بهذه الحقيقة من خلال موضوع نشر في مجلة العلوم الأمريكية عام ١٩٩٤ :

"من المستحيل أن تكون البروتينات والحموض الأمينية، وكلها جزيئات معقدة، قد نشأت من تلقاء نفسها في نفس الوقت وفي نفس المكان. أضف إلى عدم إمكانية تواجد أحدهما دون الآخر . وهكذا ومن النظرة الأولى يجد أحدهنا أنه من المستحيل أن تكون الحياة قد نشأت من خلال عمليات كيميائية بحثة" ٢٢

لا شك أنه إذا كان من المستحيل أن تنشأ الحياة من أسباب



التجربة كان مختلفاً جداً عن الظروف الأرضية الحقيقية.^{١٩} وبعد فترة من الصمت اعترف ميلر أن المناخ الذي استخدمه في تجربته كان غير حقيقياً.^{٢٠}

لقد باءت جميع محاولات التطوريين في إثبات نظرية التطور في القرن العشرين بالفشل. يعترف العالم الجيولوجي بادا من معهد سكريبيس في سانت ياغو بهذه الحقيقة في مقالة نشرها مجلة "الأرض" عام ١٩٩٨ : "ها نحن اليوم نغادر القرن العشرين دون أن نتمكن من حل المشكلة التي بدأنا القرن معها وهي : كيف بدأت الحياة على الأرض؟" ٢١

البنية المعقّدة للحياة

السبب الرئيسي الذي أوقع نظرية التطور في مأزق "كيف بدأت الحياة" هو أن الكائنات الحية، حتى البسيطة منها، تتطوّر على بنيات في غاية التعقيد. فالخلية الواحدة من الكائن الحي أكثر تعقيداً من أي منتج تقني صنعه يد البشر. فحتى يومنا هذا لا يمكن لأي مختبر كيميائي مهما بلغت درجة تطوره أن ينجح في تركيب خلية حية من خالل تجميع عدد من المواد العضوية مع بعضها.

إن الظروف المطلوب توفرها لتركيب خلية حية هي أكثر بكثير من أن تُعرض. فإمكانية تركيب أحد البروتينات التي تعتبر حجر الأساس في الخلية بشكل عشوائي هي 1×10^{90} وهذا بالنسبة لبروتين مكون من 500 حمض أميني؛ وفي الرياضيات يعتبر أي احتمال أصغر من 10^{-50} مستحيلًا! إن جزء الـ DNA الذي يتواجد في نواة الخلية والذي يخزن المعلومات الوراثية، هو في حد ذاته بنك معلومات معجز. فلو أن المعلومات المشفرة في جزء DNA قد أفرغت كتابة فإنها ستشغل مكتبة عملاقة

تأثير لامارك

ولكن كيف تحدث هذه "التغيرات الإيجابية"؟ حاول داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفهم البدائي للعلوم في ذلك الوقت. فحسب نظرية لامارك الذي عاش قبل داروين، فإن الكائنات الحية تورث صفاتها التي اكتسبتها خلال حياها إلى الأجيال التالية ، وهذه الصفات تتراكم من جيل إلى آخر لتشكل أنواع جديدة من الكائنات الحية. فحسب لامارك، الزرارات هي كائنات تطورت عن الظباء عندما كانت تجاهد من أجل الوصول إلى الشمار التي تحملها الأشجار العالية، فطالت رقبتها من جيل إلى آخر حتى استقرت على هذا الطول.

وباقنفأه أثره، أورد داروين مثالاً مماثلاً في كتابه فقال أن الدبب غطست في الماء أثناء بحثها عن الطعام فتحولت إلى حيتان على مر الأجيال".^{٢٤} إلا أنه ما لبثت أن ظهرت قوانين الوراثة على يد العالم ماندل في القرن العشرين، مما أحبط أسطورة امتداد الصفات عبر الأجيال. وهكذا سقط الاصطفاء الطبيعي كدعامة من دعامت نظرية التطور.

الداروينية الجديدة والطفرات

ومن أجل الوصول إلى حل، قام الداروينيون بتطوير "نظرية تركيبة جديدة" أو ما يدعى بـ "الداروينية الجديدة" في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. أضافت الداروينية الجديدة نظرية "الطفرات" وهي تشوهات جينية تطرأ على الكائن الحي وتحدث بفعل تأثيرات خارجية مثل التعرض إلى الإشعاعات وأخطاء في تضاعف الـ DNA، بالإضافة إلى الطفرات الطبيعية.

طبيعية، فلا بد أنها قد "خلقت" بيد خالق. هذه الحقيقة تلغي نظرية التطور ، والتي تهدف بالدرجة الرئيسية إلى إنكار الخلق، من أساسها.

الأفكار الخيالية لنظرية التطور

القطعة الثانية التي تدحض نظرية داروين هي أن كلا المفهومين اللذين وضعهما النظرية كـ "تقنيات تطورية" ثبت أنها في الحقيقة لا تملك أي قوة تطورية.

لقد اعتمد داروين في خدعة التطور التي خرج بها على فكرة "الاصطفاء الطبيعي". وقد ضمن هذه الفكرة في كتابه: "أصل الأنواع ، عن طريق الاصطفاء الطبيعي..."

يقول قانون الاصطفاء الطبيعي أن الكائنات الحية التي تمتلك خصائص قوية فقط هي التي يمكن أن تبقى في معركة الحياة. على سبيل المثال، عندما تهاجم الحيوانات المتواحشة قطبيعاً من الغرلان، فإن الغرلان الأقوى والتي يمكنها أن ترکض بسرعة أكبر هي التي ستنتصروا وتبقى على قيد الحياة. وهكذا يتشكل قطبيع جديد من الأقوياء والسرعاء فقط. ولكن، ولنفترض أننا سلمنا بهذا جدلاً، فهل يمكن لهؤلاء الأقوياء من قطبيع الغرلان أن يتظروا بأي شكل من الأشكال ليصبحوا حيواناً مثلاً؟ بالطبع لا.

لذلك نقول أن هذه الفكرة لا قوة تطورية لها. داروين نفسه كان قلقاً بشأن هذه الحقيقة التي وضعها في كتابه أصل الأنواع حيث قال: "لا يمكن لقانون الاصطفاء الطبيعي أن يتحقق شيئاً ما لم تحدث تغييرات فردية إيجابية" ٢٣ .

وبانففاء وجود هذه التقنيات تنتفي عملية التطور.

السجالات الإحاثية: لا دليل على وجود أشكال مرحلية

في الحقيقة لا يوجد أي دليل في سجل المستحاثات على أكثر الادعاءات وضوحاً في سيناريو نظرية التطور.

حسب نظرية التطور، فإن كل كائن حي قد نشأ عن كائن قبله، أي أن الكائنات السابقة قد تحولت إلى كائنات أخرى، وكل الأنواع نشأت بهذه الطريقة. وحسب النظرية، فإن هذه التحولات استغرقت ملايين السنين.

وإذا كان هذا الافتراض حقيقياً، فمن الضروري وجود عدد كبير من الأنواع المرحلية التي عاشت في فترة التحول الطويلة. على سبيل المثال لابد من وجود كائن نصفه سمكة ونصفه سلحفاة يحمل صفات السلحفاة بالإضافة إلى صفات الأسماك التي يحملها أصلاً. أو كائنات نصفها طير والنصف الآخر زواحف، أي تحمل بعض صفات الطيور بالإضافة إلى صفات الزواحف التي تحملها أصلاً. وبما أنها في الطور المرحلي، فهي كائنات عاجزة غير مؤهلة، ومعاقفة؛ ويطلق التطوريون على هذه الأشكال الخيالية إسم "الأشكال التحولية"

لو كان هناك حيوانات كتلك حقاً، فيجب أن يكون هناك الملايين بلbillلين منها وبشكل متنوع. والأهم من ذلك يجب أن تحمل سجالات المستحاثات بقايا هذه الأحياء الغريبة. يقول داروين في كتابه "أصل الأنواع":

"إذا كانت نظرية صحيحة، فلا بد من وجود عدداً كبيراً من الأنواع

و النموذج الذي يقف مدافعاً اليوم عن نظرية التطور هو الداروينية الجديدة. تقول هذه النظرية الجديدة أن الملايين من الأحياء المتواجدة على سطح الأرض قد جاءت نتيجة لطفرات طرأة على الأعضاء المعقّدة لهذه الكائنات مثل الآذان والعيون والرئات والأجنحة، أي إضطرابات وراثية. إلا أن الحقيقة العلمية تأتي في عكس الاتجاه المطلوب. فالطفرات لم تكن في يوم من الأيام إيجابية تؤدي إلى تقوية وتعزيز القدرة الحيوية الكائن الحي، وإنما إلى إهاكها وإضعافها..

والسبب وراء هذا ببساطة هو أن جزيء DNA يحمل بنية معقّدة جداً وأي تغيير عشوائي فيها سيؤدي ضرراً كبيراً. يشرح عالم الجينات رانغاناتان الموضوع كالتالي:

"أولاً، الطفرات الجينية نادرة الحدوث. ثانياً الطفرات في معظمها ضارة ومهلكة في بعض الأحيان لأنها تغييرات عشوائية ، وأي تغيير غير منظم، علاوة على المنظم ، في أي كائن حي راقيته تحدّر به نحو الأسوء ولا ترتفق به إلى الأفضل. فالفرة الأرضية التي قد تصيب أحد الأبنية على سبيل المثال، ستتسبّب في تغيير في الإطار العام لها، وهذا بالطبع ما لن يكون تحسيناً في البناء". ٢٥

لهذا ليس غريباً غياب أي دليل على وجود طفرة كانت السبب في تغيير الشفرة الوراثية نحو الأفضل. على العكس فجميع الطفرات كانت ناكسة . أصبح واضحاً إذاً أن الطفرة التي اعتبرت من تقنيات التطور لا تجلب على الكائن الحي إلا المزيد من الضعف وتجعله عاجزاً. (من التأثيرات الشائعة للطفرة في العصر الحديث مرض السرطان). وطبعي أن لا تكون تقنية مدمرة من تقنيات "التطور" ، كما لا يمكن لـ "الاصطفاء الطبيعي" أن ينحرز شيئاً بنفسه. وهذا يعني أنه لا يوجد تقنيات تطور في الطبيعة.

تكون، إذا لم يكن الأمر كذلك فهذا يعني أنها قد تطورت عن أنواع وجدت مسبقاً من خلال بعض عمليات التحول. أما إذا كانت قد ظهرت بشكلها الكامل ، فلا بد أنها قد خلقت خلقاً . ٢٨

والمستحاثات تثبت أن الكائنات الحية قد نشأت بشكلها المكتمل على سطح الأرض ، وهذا يعني أن "أصل الأنواع" ليس كما يدعى داروين ، إنه خلق وليس تطور.

قصة تطور الإنسان

الموضوع الذي يحاول مؤيدوا نظرية التطور الكلام به دائماً هو موضوع أصل الإنسان. يدعى الداروينيون أن الإنسان الحالي قد تطور عن نوع من أشباه القردة. وخلال هذه العملية التطورية المزعومة، التي يفترض أنها استغرقت من ٤-٥ ملايين عاماً، ظهرت "أشكال تحولية" تفصل بين الإنسان الحديث وأجداده، كما يزعمون. وحسب هذه الصورة الخيالية البحتة، صنفت هذه الأشكال في أربعة فئات:

- أسترالوبি�ثيكس
- هومو هايليس.
- هومو أريكتوس
- هومو ساينس

يطلق التطوريون على الجد الأول للإنسان " أسترالوبি�ثيكس" ويعني "قرد جنوب إفريقيا". والحقيقة هو أن هذا المخلوق ليس إلا نوعاً من القرود القديمة المنقرضة. أثبتت الأبحاث الواسعة التي أجرتها عالما التشريح ، اللورد سولي زوكمان والبروفسور تشارلز أوكتنار، من إنكلترا والولايات المتحدة، على مستحاثات أسترالوبি�ثيكس أن هذه المستحاثات

المختلفة التي تصنف ضمن فئة واحدة، وهذا الوجود سنته السجلات الإحاثية". ٢٦

آمال داروين تتبدل

بالرغم من جميع محاولات التطوريين الحادة في إيجاد مستحاثات تدعم تصوراً لهم في وجود مخلوقات تحولية في منتصف القرن العشرين في جميع أنحاء العالم، إلا أنهم لم يجدوا أياً منها. لقد أثبتت جميع المستحاثات التي اكتشفت أثناء الحفريات الجيولوجية عكس ما قالت به النظرية الداروينية تماماً: لقد نشأت الحياة فجأة وتشكلت تماماً لا وجود لأي شكل تحولي. أقر أحد علماء التطور، العالم الإنجليزي ديريك آغر Derek Ager بهذه الحقيقة عندما قال:

النقطة هي أننا عندما قمنا بتفصي السجل الإحاثي بالتفصيل سواء على مستوى الأنواع أو الترتيب الزمني المرة تلو المرة، لم نجد تطور تدريجي أو مرحلة انتقالية، وإنما ظهور مفاجئ لمجموعة من الكائنات على حساب أخرى. ٢٧

هذا يعني أن السجل الإحاثي يبرهن أن جميع الكائنات الحية قد ظهرت على الأرض بشكل مفاجئ بأشكالها التامة، ودون أي طور تحولي، وهذا عكس الإدعاء الدارويني تماماً وإثبات قوي على حقيقة الخلق. فالتفسير الوحيد لنشوء الكائنات الحية بشكل مفاجئ على سطح الأرض بشكلها الكامل ودون تطور عن آجداد سابقين، إنما يعني أن هذه الأنواع قد خلقت خلقاً. ويقر هذه الحقيقة عالم الأحياء التطوري دوغلاس فيوتوميا:

"الخلق والتطور، وبينهما التفسيرات المحتملة عن أصل الكائنات الحية. فإما أن تكون الأنواع قد ظهرت على سطح الأرض بتكونها الكامل، أو لا

التطور، بالرغم من أنه عالم تطوري:

ماذا سيكون مصير فكرتنا إذا كان هناك تزامن معيشي لثلاث من فئات المهومن (الإفريقي والأوسترالوبيثيكوس القوي والمهومن هايليس) وثبت أن أحداً منهم لم ينشأ عن الآخر؟ أضف إلى أن أحداً من هؤلاء لم يثبت عليه أي تحول تطوري خلال فترة حياته على سطح الأرض. ٣٣

نقول باختصار، أن سيناريو التطور البشري الذي ينص على وجود مخلوق نصفه إنسان ونصفه قرد والذي قام على استخدام العديد من الصور الخيالية التي ظهرت في الكتب الدعائية لنظرية التطور، ليس إلا قصة لا أساس لها من الصحة العلمية.

وبالرغم من كون العالم سولي زوكرمان، الأكثر شهرة في المملكة المتحدة، عالماً تطوريًّا، إلا أنه اعترف في نهاية أبحاثه، التي استغرقت عدة سنوات والتي تناولت بشكل خاص مستحاثات أوسترالوبيثيكوس لمدة ١٥ عاماً، أنه لا يوجد شجرة بشرية تتفرع عن مخلوقات شبيهة بالقرود.

صنف زوكرمان العلوم ضمن طيف أسماء "طيف العلوم" يتدرج من العلوم التي يعتبرها علمية لينتهي في العلوم التي يعتبرها غير علمية. وحسب طيف زوكرمان، فإن أكثر العلوم "علمية" – أي التي تقوم على بيانات ومعلومات ملموسة – هي الفيزياء والكيمياء، تليهما العلوم البيولوجية وفي الدرجة الأخيرة العلوم الاجتماعية. وفي نهاية الطيف تأتي العلوم "غير العلمية" والتي يحتل مكانها "الإدراك الحسي المفرط" – وهي مفاهيم الحاسة السادسة والتيليباتي (التحاطر عن بعد) – وylieها "التطور البشري". ويسرح لنا زوكر عمله هذا:

نحن هنا إذاً نتحول من الحقيقة المسجلة موضوعياً إلى تلك المجالات

تعود إلى أنواع عادية من القردة التي انقرضت والتي لا تحمل أي شبه مع الإنسان.^{٢٩}

والفئة الثانية التي يصنفها التطوريون هي "هومو" وتعني "الإنسان" وحسب نظرية التطور، فإن سلاله الهومو أكثر تطوراً من سلاله أوسترالوبيثيكوس. وهنا اخترع التطوريون خطة مثيرة بتركيزهم لهذه مستحاثات من هذه المخلوقات ووضعها بترتيب معين. إلا أن تلك الخطة خيالية لأنه لم يثبت وجود أي علاقة تطورية بين هذه الفئات المختلفة. يقول أحد أهم المعلقين على نظرية التطور إيرنست ماير في كتابه "من المناظرات الطويلة": "تعتبر الأحجية التاريخية التي تتكلّم عن أصل الحياة أو أصل الهومو ساينس أحجية صعبة حتى أنها تتعارض مع الاكتشافات الأخيرة".^{٣٠}

ومن خلال السلسلة التي وضعها التطوريون فإن الفئات الأربع: أوسترالوبيثيكوس، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو ساينيس ناشئة عن بعضها البعض. إلا أن الاكتشافات الأخيرة التي ظهرت على يد علماء المستحاثات البشرية قد أثبتت أن هذه الفئات الأربع أوسترالوبيثيكوس ، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو ساينيس قد عاشت في بقاع مختلفة من العالم وفي زمن واحد.^{٣١}

علاوة على هذا، فإن الأجزاء البشرية التي صنفت في فئة "هومو أريكتوس" لم تقرض حتى وقت قريب جداً، أما النياندرتاليين والموموساينيس فقد تعايشوا في زمن واحد وفي منطقة واحدة.^{٣٢}

هذا الاكتشاف يدحض الادعاء بأن أحد منهم يمكن أن يكون جداً للآخر. يفسر عالم الأحياء القديمة ستيفن جاي غولد Stephen Jay Gould من جامعة هارفارد النهاية المسدودة التي وصلت إليها نظرية

بنية الكائن الحي، داخل أعداد هائلة من البراميل العظيمة. وليضيفوا حتى إلى هذه البراميل ما يرون أنه من الضروري وجوده داخل هذا المزيج من مواد لا توجد حتى في الظروف الطبيعية. وليفعموا هذا المزيج بقدر ما يشاؤن من الأحشاء الأمينية، والبروتين (احتمال تشكل الوحدة الواحدة منه تصادفياً بنسبة ١٠٠ قوة ٩٥٠). وليمدوا هذا المزيج بالحرارة والرطوبة بالنسبة التي يرونها مناسبة، وليخفقوه ما شاؤوا من الأجهزة المتقدمة، ولقيصوا على رأس هذه البراميل صفة علماء العالم، ولينتظر هؤلاء الخبراء في مكانتهم هذا وبشكل مستمر ميلارات، بل تريليونات السنين بالتناوب من الأب إلى الأبن، ومن جيل إلى جيل، ولتكن لهم مطلق الحرية في أن يستخدموا كافة ما يعتقدون في ضرورة وجوده من الظروف من أجل تشكل الكائن الحي. إنهم مهما فعلوا، ليس بقدورهم بالطبع أن يُخرجوا كائناً حياً من تلك البراميل. ولا يتأتى لهم أن يأتوا بواحدة من الزرارات أو الأسود أو النحل أو عصافير الكناريا أو البلابل أو البيغاوات أو الخيل أو حيتان يونس أو الورود أو زهور الأوركيد أو الزنابق أو زهور القرنفل أو الموز أو البرتقال أو التمر أو الطماطم أو الشمام أو البطيخ أو التين أو الزيتون أو العنب أو الخوخ أو الطواويش أو طيور الدُّراج أو الفراشات مختلفة الألوان وملايين من الأنواع الحية من مثل هؤلاء. بل ليس بسعهم أن يأتوا ولو بخلية من هذه الكائنات الحية التي أحصينا عدداً منها، لا بواحدة منها كاملاً الخلق.

جملة ما نبغي قوله هو أن الذرات غير الوعية ليس بسعها أن تجتمع فتشكل خلية حية، ولا تستطيع أن تتخذ قراراً جديداً من بعد فتقسم الخلية نصفين، ثم تتخذ قرارات أخرى تباعاً فتأتي ببيان العلماء الذين اخترعوا المجهر الإلكتروني، من يراقبون بنية الخلية ذاتها فيما بعد تحت المجهر. إن الخلية تدب فيها الحياة فقط بالخلق المعجز لله عز وجل. أما نظرية التطور التي

التي يشغلها علم الأحياء الافتراضي، مثل الإدراك الحسي المفرط، أو التفسير التاريخي للمستحاثات الإنسانية، والتي يبدو فيها كل شيء جائز بالنسبة للتطوري، حيث يكون التطوري مستعداً لتصديق العديد من الأمور المتناقضة في وقت واحد.^{٣٤}

لقد اندرت قصة التطور البشري لتصل إلى مستوى التفسيرات المتيحزة لبعض المستحاثات التي استخرجها بعض الأشخاص الذين تعلقوا بهذه النظرية بشكل أعمى.

المعادلة الداروينية

إلى جانب كل ما تناولناه إلى الآن من أدلة تقنية ، نود أن نوجز — إن شئتم — وبمثال واضح بحيث يمكن حتى للأطفال أن يفهموه ، كيف أن التطوريين أولو عقيدة خرفاء فاسدة .

تزعم نظرية التطور أن الحياة تشكلت محضر صدفة؛ وعليه وطبقاً لهذا الزعم فإن الذرات الجامدة وغير الواقعية اجتمعت وشكلت أولًا خلية، ثم جاءت الذرات نفسها بطريقة أو بأخرى بالكائنات الحية والبشر. ولنفكر الآن: إننا حينما نجمع عناصر مثل الكربون والفسفور والأزوٰت والبوتاسيوم وهي المفردات الأساسية في بنية الكيان الحي، فإنه تتشكل كومة. ومهما مرت كومة الذرات هذه بأي من العمليات، فإنها لا يمكن أن تشكل كائنا حيا واحداً. ولنجر تجربة في هذا الصدد إذا ما شئتم ، ولتناول بالبحث والاستقصاء، باسم التطوريين وتحت عنوان "المعادلة الداروينية" ، الزعم الذي ينافحون عنه في الأصل، إلا أنهم لا يستطيعون أن يجهروا به:

فليضع التطوريون كميات وفييرة من عناصر مثل الفسفور والأزوٰت والكربون والأوكسجين والحديد والماغنيسيوم وهي العناصر التي تتشكل منها

الكتاب، ثم ارفعوا رأسكم وانظروا حولكم. أرأيتم منظراً بهذا النقاء والجودة في أي موضع آخر؟ إن شاشة أكثر أجهزة التلفاز تطوراً والتي تنتجهها شركة أجهزة التلفاز الأولى على مستوى العالم، لا يمكن أن تمنحكم صورة بهذا القدر من النقاء. ومنذ مائة عام وآلاف المهندسين يسعون للوصول إلى هذا النقاء، ومن ثم تُشيد المصانع والمؤسسات العملاقة، وتجرى الأبحاث، ويتم تطوير الخطط والتصميمات. ولتنظروا ثانية إلى شاشة التلفاز، وفي اللحظة ذاتها إلى الكتاب الذي بين أيديكم، فسوف ترون أن هناك فرقاً شاسعاً في النقاء والجودة. فضلاً أن شاشة التلفاز تبدي لكم صورة ثنائية الأبعاد، في حين أنكم تتبعون مناظر ثلاثية الأبعاد ذات عمق.

ومنذ سنوات طوال يسعى عشرات الآلاف من المهندسين لتصنيع شاشات جهاز تلفاز تعطي صورة ثلاثية الأبعاد، والوصول إلى جودة رؤية العين. نعم لقد أمكنهم تصميم نظام تلفاز ثلاثي الأبعاد، غير أنه ليس في الإمكان رؤيته ثلاثي الأبعاد دون ارتداء النظارة. ومع أن هذه الأبعاد الثلاثة اصطناعية. فالجهة الخلفية تظل عكرة، أما الجهة الأمامية فتبدو وكأنها صورة من ورق. ولا يتشكل أبداً منظر في جودة ونقاء المنظر الذي تراه العين. ويحدث بالطبع أن تضيع الصورة في الكاميرا والتلفاز.

وها هم التطوريون يزعمون أن آلية الإبصار في العين والتي تظهر هذا المنظر الذي يتسم بالجودة والنقاء، إنما تشكلت بمحض المصادفة . والآن إذا ما قال أحد لكم إن التلفاز الموجود في حجرتكم، إنما قد تشكل نتيجة مصادفات، وأن الذرات تجتمع وجاءت بالجهاز الذي يشكل هذه الصورة، ماذا تعتقدون فيه؟! كيف لذرات غير واعية أن تصنع ما لم يتأت لآلاف الأشخاص مجتمعين أن يصنعوه؟!

تنزعم عكس هذا، فهي سفسطة تتنافى تماماً مع العقل والمنطق. وإن إعمال الفكر ولو قليلاً في المزاعم التي طرحتها التطوريون، ليظهر بجلاء هذه الحقيقة مثلما في النموذج الوارد أعلاه.

التقنية الموجودة في العين والأذن

أما الموضوع الآخر الذي لم تستطع نظرية التطور أن تأتي له بتفسير جازم، فهو جودة الإدراك الفائقة الموجودة في العين والأذن. وقبل اللووج إلى الموضوع المتعلق بالعين، نود أن نحيب بإيجاز عن سؤال هو: كيف تبصر العين؟

إن الأشعة المنبعثة من جسم ما، تسقط بشكل عكسي على شبكة العين، وتقوم الخلايا الموجودة هنالك بتحويل هذه الأشعة إلى إشارات كهربية، تصل إلى نقطة تسمى مركز الإبصار موجودة بالجزء الخلفي للمخ. وهذه الإشارات الكهربية، بعد مجموعة من العمليات يتم التقاطها كصورة في هذا المركز الكائن في المخ. وبعد هذه المعلومة فلنفكر:

إن المخ محظوظ عن الضوء، بمعنى أن داخل المخ ظلاماً دامساً، ولا يتأتى للضوء أن ينفذ إلى حيث يوجد المخ. والموضع الذي يسمى مركز الإبصار موضع حالي الظلمة ليس الضوء يبالغه أصلاً، ولعله مظلم بدرجة لم نصادفها قط. إلا أنكم في هذه الظلمة الحالكة تشاهدون عالماً مضيئاً متوجهاً.

فضلاً عن كونه منظراً على درجة من القاء والجودة تعجز حتى تقنية القرن الحادي والعشرين — رغم كل الإمكانيات — أن تأتي بمثلها. انظروا مثلاً إلى الكتاب الذي بين أيديكم الآن، وانظروا إلى أيديكم التي تمسك

يسجل الصوت، حتماً يضيع شطر منه، أو يحدث تشوش بالطبع ولو قليلاً، أو أنه حينما تقومون بتشغيل شريط الكاسيت فإنكم لا بد أن تسمعوا له صريراً قبل أن تبدأ الموسيقى. في حين أن الأصوات التي من نتاج التقنية الموجودة بالجسم الإنساني تتسم بأقصى درجات النقاء، ولا تشوبها شائبة. ولا تلتقط أذن إنسان أبداً الصوت بشكل به صرير أو تشويش. وأياً ما كانت طبيعة الصوت فإنها تلتقطه بشكل كامل ونقى. وهذا الوضع لا يزال على ذات الكيفية منذ أن خُلِقَ الإنسان وإلى يومنا هذا. وإلى الآن ليس ثمة جهاز بصري أو صوتي من صنع بني الإنسان يتلقط الصورة والصوت بشكل حساس وناجح مثل العين والأذن.

وفيما عدا هذا كله، فإنه ثمة حقيقة عظيمة للغاية في عملية الإبصار والسمع.

من تعود حاسة الإبصار والسمع داخل المخ؟

من ذا الذي بداخل المخ يشاهد عالماً مضيناً ملوناً، ويسمع السيمفونيات وزفرقة العصافير، وينتسب عبر الورود؟ إن التبيهات الآتية من عيني الإنسان وأذنيه وأنفه تمضي إلى المخ في صورة إشارة كهربية. وإنكم لطالعون تفصيلات كثيرة في كتب علم الأحياء والطبيعة والكيمياء الحيوية، ييد أنكم لا يمكن أن تصادفوا في أي موضع قط أهم حقيقة ينطوي عليها هذا الموضوع ألا وهي: من ذا الذي بالمخ يتلقى هذه الأشارات الكهربية ويدركها على أنها صورة وصوت ورائحة وإحساس. إن ثمة حاسة توجد بداخل المخ تلتقط هذا كله دون حاجة إلى عين أو أذن أو أنف، لمن تعود هذه الحاسة. بالطبع لا تعود على ما يشكل المخ من أعصاب وطبقات دهنية

إن الآلة التي تشكل منظراً هو أكثر بدائية مما تراه العين، لو أنها لا تتشكل مصادفة، فإنه من الواضح للغاية أن العين والمنظر الذي تراه بدورهما لن يتشكلا مخض مصادفة، والحال كذلك بالنسبة للأذن. فالآذن الخارجية تجمع الأصوات المحيطة بواسطة صوان الأذن، وتقوم بتوصيلها إلى الأذن الوسطى، لتقوم هي الأخرى بتقوية الذبذبات الصوتية ونقلها إلى الأذن الداخلية، لتقوم بدورها بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربية، وإرسالها إلى المخ. وعملية السمع أيضاً كما هو الشأن في عملية الإبصار تتم في مركز السمع الموجود في المخ.

والوضع الذي في العين يسري كذلك على الأذن. يعني أن المخ محظوظ كذلك عن الصوت مثلما هو محظوظ عن الضوء، فالصوت لا ينفد، وعليه فإنه مهما بلغت شدة الضجيج خارج المخ، فإن داخله ساكن تمام السكون. ورغم هذا فإن أنقى الأصوات تلتقط في المخ. ولو أنكم تسمعون سيمفونيات أوركسترا في محكם الذي لا ينفي إليه الصوت، فإنكم تشعرون بكل صخب أحد الأوساط المزدحمة. وإذا ما قيس مستوى الصوت الذي يدخل المخ باستخدام جهاز حساس في تلك اللحظة، فسيتضح أنه يُطبق عليه السكون التام.

وعلى نحو ما استخدمت التقنية أعلاً في الحصول على صورة نقية، فإن المساعي نفسها تواصل منذ عشرات السنين بالنسبة كذلك للصوت. وتُعد أجهزة تسجيل الصوت وأشرطة الكاسيت وكثير من الأجهزة الإلكترونية، والأنظمة الموسيقية التي تلتقط الصوت، بعض ثمار هذه المساعي. ولكن على الرغم من كل التقنيات، وآلاف المهندسين والخبراء العاملين بمحفلها، لم يتأت الوصول إلى صوت بنقاء وجودة الصوت الذي تلتقطه الأذن. وتأملوا أجداد أشرطة الكاسيت التي تنتجهها كبرى شركات الأنظمة الموسيقية، فحينما

الوحيد للطبيعة الذي يمكن الإتيان به.

وأحياناً يعترفون صراحة بهذا، ويعرف ريتشارد لوتنين (Richard Lewontin) — عالم الوراثة الشهير بجامعة هارفرد وفي الوقت ذاته تطوري بارز، — بأنه "مادي في المقام الأول، ثم عالم في المقام الذي يليه"، إذ يقول:

"إن لنا إيماناً بالmadia، وهو إيمان استباقي (اعتنق سلفاً، وافتراضت صحته). والشيء الذي يدفعنا إلى الإتيان بتفسير مادي للعالم، ليس هو أصول العلم وقواعده، بل على العكس من ذلك فإننا — بسبب من إخلاصنا سلفاً للmadia — نختلق أصول ومفاهيم بحثية تأتي بتفسير مادي للعالم. ونطراً إلى كون madia صحيحة صحة مطلقة، فإننا لا يمكن أن نسمح بدخول تفسير إلهي إلى الساحة".^{٣٥}

وتُعد هذه الكلمات اعترافات صريحة بأن الداروينية مولود يحيى في سبيل الإخلاص للفلسفة المادية. وهذا المولود يفترض أنه ما من وجود قط سوى المادة. ولهذا السبب يعتقدون أن المادة الجامدة عديمة الوعي إنما خلقت الحياة. ويدهبون إلى أن ملايين الأنواع الحية المختلفة مثل الطيور والأسماك والزرافات والتمور والحشرات والأشجار والأزهار وحيتان البال والبشر إنما تشكلت من داخل المادة الجامدة وبالتالي الحادثة داخل المادة ذاكها؛ أي بالمطر الساقط، والبرق الخاطف. أما في حقيقة الأمر فإن هذا يتنافى مع العقل والمنطق على السواء. بيد أن الداروينيين يستمرون المنافحة عن هذا الرأي بُغية "عدم دخول تفسير إلهي إلى الساحة" على حد تعبيرهم.

أما من لا ينظرون إلى أصل الكائنات الحية وفي أذهانهم حكم مادي مسبق، فسوف يدركون هذه الحقيقة الجلية. والكائنات الحية كافة إنما هي من صنع خالق ذي قوة وعلم وعقل معجز. إنه الله الذي خلق الكون كله

وخلاليا عصبية. وهكذا ولهذا السبب ليس بمقدور الماديين الداروينيين من يظنون أن كل شيء ليس سوى مادة، أن يحيطوا على هذه التساؤلات، لأن هذه الحاسة إنما هي الروح التي خلقها المولى عز وجل. فهي لا تحتاج إلى عين حتى ترى الصورة، ولا أذن حتى تسمع الصوت. وعلاوة على هذا كله، فهي ليست بحاجة إلى مخ كيما تفكّر. إن كل امرئ يطالع هذه الحقيقة العلمية الجليلة، عليه أن يفكّر في الله عز وجل الذي جمع بمكان حالك الظلمة داخل المخ يقدّر بعدة سنتيمترات مكعب، الكائنات كافة بصورة ثلاثية الأبعاد ذات ألوان وظلال وضياء، ويخشاه ويلوذ به.

عقيدة مادية

إن ما تناولناه إلى الآن بالبحث والتدقيق ليظهر أن نظرية التطور ما هي إلا زعم يتعارض بوضوح مع الاكتشافات العلمية، ويحافي زعم النظرية — فيما يتعلق بأصل الحياة — المنطق العلمي. فليس لأية آلية تطور قط طرحتها النظرية أي تأثير تطوري. وتكشف الحفريات أن الكائنات الحية لم تمر بمراحل بيئية تلك التي تستوجبها النظرية. وفي هذه الحالة يتعين تتحمية نظرية التطور جانبا باعتبارها فكرة مجافية للعلم. لا سيما وأن كثيرا من الأفكار التي ظهرت على مدار التاريخ، مثل فكرة أن الأرض هي مركز الكون، قد حُذفت من أجندة العلم. في حين أن نظرية التطور يُتشبث بها وبإصرار في هذه الأجندة، حتى إنه من الناس من يسعى لإظهار أي انتقاد موجه إلى النظرية وكأنه هجوم على العلم ! لم هذا إذن؟!

إن السبب في هذا الوضع إنما هو تكون عقيدة جازمة لنظرية التطور لا يمكن النكوص عنها بالنسبة إلى بعض الأوساط. وتخالص هذه الأوساط إخلاصاً أعمى للفلسفة المادية، وتتبني الداروينية كذلك لأنها التفسير المادي

قوم إبراهيم عليه السلام للأوثان، التي كانوا يصنعونها بأيديهم، وعبادة قوم موسى عليه السلام للعجل الذي صنعوه من ذهب. وهذا الوضع في حقيقته إنما هو حماقة أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم. وينبئنا المولى عز وجل في كثير من آياته بأن من الناس من سيستغلق عليه الفهم ويتربون إلى حال يعجزون فيه عن رؤية الحقائق. ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٧-٦).

وقوله أيضاً :

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بَهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بَهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنَّعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أما في سورة الحجر فيخبرنا الله عز وجل بأن أولئك الناس قد سحرروا بحيث أفهم لن يؤمنوا حتى ولو رأوا المعجزات، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرْتُ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥)

وإن امتداد هذا السحر بشكل مؤثر على قطاعات عريضة من الناس بهذا القدر، وابتعاد الناس عن الحقائق بهذه الدرجة، وبقاء هذا السحر منذ ١٥٠ عاماً، هو وضع مثير للحيرة والدهشة بدرجة لا يمكن شرحها بكلمات، لأنه من الممكن أن يستسيغ العقل اعتقاد شخص أو عدة أشخاص لسيناريوهات مستحيلة ومزاعم حافلة بالحرف والهراء والأمور غير المنطقية، إلا أن اعتقاد

من العدم، ونظمه بشكل لا تشبه شائبة أو قصور، وخلق الكائنات الحية كافة وصورها.

إن نظرية التطور هي أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم

يتعين هنا أن نوضح أن أيما إنسان يُعمل عقله ومنطقه دون أحكام مسبقة دون الواقع تحت تأثير أي أيديولوجية، سيدرك بسهولة ويسر أن نظرية التطور التي تذكّرنا بخرافات المجتمعات التي عاشت بعوائق عن العلم والحضارة، ليست سوى زعم يستحيل تصدّيقه.

وعلى النحو المتقدم تبيّنه، فإن من يؤمّنون بنظرية التطور يعتقدون أنّ الأساتذة الذين يفكّرون ويعقلون ويختّرون، والطلاب الجامعيين والعلماء مثل إينستين هوبّل (Einstein, Hubble)، والفنانين مثل فرانك سيناترا (Charlton Heston) وشارلتون هيستون (Frank Sinatra) يضاف إليهم كائنات مثل الغزلان وأشجار الليمون وزهور القرنفل، سوف يخرجون مع مرور الزمان من مزيج من كثير من الذرات والجزئيات والمواد غير الحياة التي تملأ برميلاً عظيماً. لا سيما وأنّ من يؤمّنون بهذا الحرف هم علماء وأساتذة وأناس على قدر من الثقافة والتعليم. ولهذا السبب فإن استخدام تعبير "أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم" بالنسبة إلى نظرية التطور سيكون استخداماً في محله. إذ إنه ليس في تاريخ العالم اعتقاد أو زعم آخر سلب عقول البشر بمثيل هذه الدرجة وحرّمهم من فرصة التفكير بالعقل والمنطق، وكأنه أسدل ستاراً أمام أعينهم، حال دون أن يروا الحقيقة التي كانت واضحة بجلاء. وإنّ هذا لغفلة وعدم بصيرة لا يستسيغها عقل مثلها كمثل عبادة بعض القبائل الإفريقية للطوطم وعبادة أهل سبا للشمس وعبادة

يسقط شأْهم ويُذلُّوا ما لم يتخلُّوا عن هذه المزاعم، وذلك حينما تظُّهُر الحقيقة بجلاء بِكَامل معانيها، و"يُيطلُّ تأثير السحر".

ويشرح مالكوم موجريديج (Malcolm Muggeridge) الذي ظل ينافح عن نظرية التطور حتى ناهز الستين من عمره، وكان فيلسوفاً ملحداً، ولكنه أدرك الحقائق من بعد الوضع الذي ستردى إليه نظرية التطور في المستقبل القريب قائلاً:

"إنني أنا نفسي صرت مقتناً لأن نظرية التطور ستكون إحدى مواد المزاح الموجودة بكتب تاريخ المستقبل لا سيما في المجالات التي طُبِّقت فيها. وسيتلقى جيل المستقبل بالدهشة والخيرة اعتناق فرضية متهرئة يكتنفها الغموض بسذاجة لا يصدقها عقل".^{٣٦}

وهذا المستقبل ليس بعيد، بل على العكس من ذلك، فإن البشر في المستقبل القريب للغاية، سيدركون أن المصادفات ليست إلهاءً وسوف يتم الاعتراف بأن نظرية التطور إنما هي أكبر خدعة وأشد أنواع السحر في تاريخ العالم. وسرعان ما بدأ هذا السحر الشديد ينحسر عن الناس في شتى أنحاء الأرض، وبات الكثيرون من وقفوا على سر خدعة التطور، يتسعّلون بدهشة وحيرة كيف انطلت هذه الخدعة عليهم.

الكثيرين من البشر في كافة أنحاء العالم بأن الذرات اللاوعية والجامدة قد اجتمعت بقرار فجائي، فأتت بالكون الذي نراه يعمل بنظام لا تشويه شائبة، ويكشف عن تنظيم غير عادي ونظام متقن غاية الاتقان، وبكوكب الأرض الذي يختص بكافة السمات المناسبة للحياة، وبكائنات حية مزودة بأنظمة معقدة تفوق الحصر، ليس له من تفسير سوى أنه سحر.

كما أن الله عز وجل ينبعنا من خلال تلك الحادثة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، بأن بعض الأشخاص من ينافحون عن الفلسفة الإلحادية، يؤثرون على الناس بما يصنعونه من السحر. فحينما قص موسى عليه السلام نبأ الدين الحق على فرعون، طلب فرعون إلى موسى أن يلتقي بسحرته في موضع يحشد فيه الناس. وحينما التقى موسى السحرة أمرهم أن يبادروا هم باستعراض مهاراتهم. والآية التي تسرد هذه الحادثة تقول: "قَالَ أَلْقُوهُ فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُو هُمْ وَجَاءُوا بِسُحْرٍ عَظِيمٍ" (الأعراف: ١١٦). وعلى نحو ما تبدى تمكن سحرة فرعون بما صنعواه من خداع أن يسحروا الناس جميرا باستثناء موسى والذين آمنوا به. إلا أن البرهان الذي ألقاه موسى في مواجهة ما ألقاه هؤلاء على حد التعبير الوارد بالقرآن الكريم "تَلَقَّفَ مَا يَأْفَكُونَ"، أي أنه أبطل تأثيره، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفَكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغَلُبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١١٩-١١٧)

وعلى نحو ما ورد في الآيات، و مع إدراك أن ما فعله هؤلاء الأشخاص الذين سحرروا الناس من قبل وأثروا عليهم إنما هو إفك، باهروا بالذل والضعة. وأولئك الذين يؤمنون بمزاعم خرقاء إلى أقصى درجة تحت غلاف من العلم وبتأثير السحر في عصرنا الراهن، وينذرون حيالهم للدفاع عنها، فسوف

23. Charles Darwin, *The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition*, Harvard University Press, 1964, p. 189
24. Charles Darwin, *The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition*, Harvard University Press, 1964, p. 184
25. B. G. Ranganathan, *Origins?*, Pennsylvania: The Banner Of Truth Trust, 1988
26. Charles Darwin, *The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition*, Harvard University Press, 1964, p. 179
27. Derek A. Ager, "The Nature of the Fossil Record", *Proceedings of the British Geological Association*, vol. 87, 1976, p. 133
28. Douglas J. Futuyma, *Science on Trial*, New York: Pantheon Books, 1983, p. 197
29. Solly Zuckerman, *Beyond The Ivory Tower*, New York: Toplinger Publications, 1970, pp. 75-94; Charles E. Oxnard, "The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt", *Nature*, vol. 258, p. 389
30. J. Rennie, "Darwin's Current Bulldog: Ernst Mayr", *Scientific American*, Dec 1992
31. Alan Walker, *Science*, vol. 207, 1980, p. 1103; A. J. Kelso, *Physical Anthropology*, 1. ed, New York: J. B. Lipincott Co., 1970, p. 221; M. D. Leakey, *Olduvai Gorge*, vol. 3, Cambridge: Cambridge University Press, 1971, p. 272
32. *Time*, Nov 1996
33. S. J. Gould, *Natural History*, vol. 85, 1976, p. 30
34. Solly Zuckerman, *Beyond The Ivory Tower*, New York: Toplinger Publications, 1970, p. 19
35. Richard Lewontin, "The Demon-Haunted World", *The New York Review of Books*, 9 Jan 1997, p. 28
36. Malcolm Muggeridge, *The End of Christendom*, Grand Rapids: Eerdmans, 1980, p. 43"

- 1- Sahih-i Buhari, s. 53 hadis 15
- 2- Kütüb-i Sitte, 10. cilt, s. 135; Ebû Dâvud, Edeb 122, (5124); Tirmizî, Zühd 54, (2393)
- 3- Muvatta, Hüsni'l-Hulk 16, (2, 908)
- 4- Kütüb-i Sitte, cilt 16, s.239
- 5- İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 2, s.365
- 6- İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 2, s.394
- 7- Müslim İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 2, s.407
- 8- Tirmizi İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 4, s.594
- 9- İbn Mace İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 4, s.655
- 10- Kütüb-i Sitte, 10. cilt, s.140; Ebû Dâvud, Sünnet 3, 4599
- 11- Kütüb-i Sitte, 10. cilt, s.141
- 12- Kütüb-i Sitte, 3345
- 13- Müslim, İmân 93, (54); Ebû Dâvud, Edeb 142, (5193); Tirmizî, İsti'zân 1, (2589)
- 14- Hz. Müslime İbni Muhalled r.a, Ramuz El-Ehadis, s.423.8
- 15- Kütüb-i sitte, cilt 10, s.134
- 16- İmam Gazali, Kimya-yı Saadet, s. 594 ((2) VI/253) ((5) VI/253)
17. Sidney Fox, Klaus Dose, Molecular Evolution and The Origin of Life, New York: Marcel Dekker, 1977, p. 2
18. Alexander I. Oparin, Origin of Life, (1936) New York, Dover Publications, 1953, p.196
19. "New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life", Bulletin of the American Meteorological Society, vol. 63, Nov 1982, pp. 1328-1330
20. Stanley Miller, Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules, 1986, p. 7
21. Jeffrey Bada, Earth, Feb 1998, p. 40
22. Leslie E. Orgel, The Origin of Life on Earth, Scientific American, vol. 271, Oct 1994, p. 78